الطبعة 2





لطيفة الزهير



لطيفة عبدالعزيز الزهير

رواية

أنثى لرجل واحد..

رواية

أنثى لرجل واحد..

الكتاب: **أنثى لرجل واحد..**

المؤلف: **لطيفة عبدالعزيز الزهير**

التصنيف: **رواية**

الناشر: **دار مدارك للنشر**

الطبعة الأولى: يناير (كانون الثاني) 2015

الطبعة الثانية: أغسطس (آب) 2015

رقم طلب إذن الطباعة: 16288

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 9948 - 20 - 661 - 3

طبعت في مطابع المتحدة للطباعة والنشر United Printing & Publishing



www.mdrek.com read@mdrek.com

مجمع الذهب والألماس، شارع الشيخ زايد، بناية رقم 3، مكتب رقم 3226، دبي - الإمارات العربية المتحدة

Gold and Diamond park, Sheikh Zayed Road, Bldg 3 Office 3226, Dubai - United Arab Emirates

P.O.Box: 333577, Dubai - UAE. Tel: +971 4 380 4774 Fax: +971 4 380 5977




Madarekpublishing @mdrekpublishing www.mdrek.com Madarek PH madarekpublishing

إهداء

إلى الضوء الذي لا يخفت ولا ينطفئ ..

1

كم تمنيت أن يكون لنا إشارات كالتي يضعونها على البضائع ..

فيضعون عليّ علامة الكأس المنخدش حتى يعلم الكل أني قابلة للكسر ..(بسهولة)

ويضعون عليك علامة السهمين المتمازجين ليعلم كلّ من يحاول الدخول في حياتك

أنك قابل للتدوير والتشكل عدة مرات وأنك أبدًا لا تنتهي عند شكل واحد !

سأضع على حياتي علامة ممنوع الدخول وفي عمقها علامة الخطر وسأرسم الجمجمة والعظمتين بشكل علامة الضرب..

حتى أنبّه كلّ من يحاول أن يتجاهل تحذيراتي السابقة !..

وعلى غيرتي قابل للاشتعال فلا تثقبها ولا تحاول الاقتراب بالنار منها..

سأرسم على عينيّ علامة التنشيف لعل أحدًا يهرع إليها لتجف من بعد أن تبللت سنين ..

أحدهم يبالغ في جعلي أتأمل أفعالي ، وجعلها على ميزان صادق أم صادق اجدًّا،

فكرت اليوم بثلاثين بالمئة منها كلها كانت محبطة . ربما أجد المذهل منها كما يدعى في السبعين الباقية ..

قد أكون كما يدعون أو قريبة منه لكني أخاف من المبالغة .. حتمًا خلفها عالم بشع من المشاعر، الذي يرسمك كما أنت ترتاح لفنه .. والذي يبشعك تكرهه، أما الذي يجعلك أجمل مما أنت عليه كأنما يعريك أمامك ويقول: ينقصك كل هذا حتى تكون كجمال الصورة ..

أحب الصراحة في كل شيء وخاصة في الأمور التي تخصني ..لا تكذب علي وتقول إنك تحب فيّ صفة لست أحملها .. إما أنك لم تعرفني حقًّا .. أو أنك تكذب علي وهذا ما لا أريد أن أصدقه يومًا ..

ورقتي على كرسي في غرفتي لها يومان لم تتحرك من مكانها .. كلما هممت برميها عدت أقلبها علّي أجدني في حناياها .. ورقة يملؤها البياض ، والبياض يملؤه دوائر سوداء متداخلة .

رسمتها وأنا أفكر وقتها .. لم أحس باللوحة السريالية إلا بعد الانتهاء !

لم أتقن الرسم منذ الصغر لكن الدوائر كانت مبتكرة نوعًا ما في فني ..المتعب ..

تشبه شبكة لن تتفكك من ذهني ويدًا طويلة انتظرها تمد إليّ لكنها بعيدة المبتغى لنأصل إليها ولن تصلني ..

ارسم كحلاً طفيفًا في جنبات عيني حتى لا يظنني من اعتاد علي أني مريضة .. وعطري الذي لا أبدله إلا نادرًا (ستلا) .. بنفسجيته تبعثرني في غموض رائحته .. عطري الغامض ..

ألقي الآخر في حقيبتي ..وأسرع كي لا أتأخر ..

يدّعون أني مميزة .. وربما المميز فيّ حزني الدافئ الذي لا يعرف سببه أحد سوى نجلاء..

نجلاء الآن مسافرة ستغيب عن عيني يومين لا أدري كيف ستمر علي بدون ضرر يذكر ..

صار تعلقي بها مخيفًا، أخاف إن تعلقت بأحد من أن أفقده ..

أجدني أمهد لنفسي غيابه كل يوم وفقده كل ساعة .. تشاؤم خوف بؤس لا أدري ما أسميه المهم أنه شيء لا يفارقني ..

وصلت موقعي في الصحيفة .. رغم أني أعرف الجميع إلا أني دون نجلاء أحس أني جديدة على المكان ..

مررت بمكتبها إذا به عامر .. حقيبتها هناك .. كوب القهوة .. فيه قليل من حمرة شفاهها ..

لمسته كان ساخنًا جدًّا .. وبجانبه كوب آخر .. وقطعتا شوكولا ..

التفت بسرعة لأراها تدخل وتحضنني ..

-تأجلت الرحلة .. عفوًا لم تتأجل فقط تأخرت حتى مللت الانتظار فألغيتها .. لست بحاجة لمن يضيع وقتي ! ثم لا أتوقع أني

سأتركك تنظرين إليّ وأنا أشرب قهوتي لوحدي ..

جلبت قهوة ،أخذت هذا الذي تحبينه

رفعت الشوكولا عند عيني .. ولمحت فرحتي الغائبة بوجودها في صدري .. التي ألجمتني عن الكلام..

تفرحني بأشياء بسيطة ، ربما لأنها منها .. ربما لأني أحب مفاجأتها .. أفتقدها في عالمي الروتيني .. الميت ..

تحدثنا عن الطيران عن تأخر الرحلات عن إضاعة الوقت بلا مقابل .. عن حظي المترف حين تأخرت الرحلة !

شربتُ قهوتها وأخذت البقية منها إلى مكتبي .. عندي أوراق لا بد أن تكمل ..

جلست كان المكتب كما تركته عاملة النظافة نبهتها كثيرًا ألا تحرك أي ورقة أو قلم عن مكانها فقط ترفع الشيء تنظف ما تحته وتعيده بكل هدوء .. حتى لو كان قصاصة .. أما الترتيب الفعلي فكان عملي أنا فقط ..

فتحت «جهاز الكمبيوتر» وبدأت أرتّب أوراقي .. كان لا بد أن أتمم مقالات الأسبوع القادم ..

لأني لا أضمن الظروف حينها ..

فتحت على إيميلي الخاص بالصحيفة .. كنت أضعه تحت كل مقال أكتبه ..

تتقاذف عليّ آراء المعجبين بها وقنابل المغتاظين منها .. واثقة أنا أن كل عمل لا يحتمل مدحًا وذمًّا ليس عملًا كاملًا ..

أبتسم لردات الفعل أردّ على ما يحتاج الرد والبقية تبقى كما هي ..

بدأت بالكتابة .. ونسخ ما كتبته على ورقة خارجية بالأمس ..استغرقت فيها .. ما يقارب نصف ساعة .. ما بين تدقيق وتأمل وحذف وإضافة .. ظهرت نغمة رسالة جديدة على الإيميل تنبهت أني لم أغلقه ..

فتحت الرسالة .. تأملتها كثيرًا توقفت عن الكتابة وعن الحماس وهدأت شكليًّا .. أما داخليًّا فكنت (أعصف) !

على العجل هاتفت نجلاء بهمس مضطرب :

-تعالي أسعفيني !

***

نجلاء تقرأ الرسالة .. بصمت ..

تلاحق الحروف المكتوبة .. وتفصل النظر إلى الشاشة حين تنظر في عيني وأهزّ كتفيّ وأنا أقضم أظافري ..

(ريما ..أنت الفن الثامن ..

أنت وجعي في الليالي الميتة ..

أنت لا تعلمين من أنت ..كما أعرف تمامًا أنا ..

بعثت لك رسائل كثيرة بأسماء أخرى .. بعضها استسخفته ..ونبذته

والآخر رددت بكلمتي شكر وتعليق صغير لا يُسكن ألمي إلا لساعات فقط ..

ريما الآن الآن أعترف أني لم أعد أحتمل أكثر ..

السكاكين التي تمزق كبدي كل يوم وأنا بعيد عنك لم تعد تجد شيئًا تمزقه بعد !

ريما .. ريما .. ريما ..

دعيني أردد اسمك كما يحلو لي ..

هدوء يعمّ في كريات دمي البيضاء والحمراء والأوردة ..

حين أردده ..

لا تظني يا ريما أني مجنون ، أنا مولع بك .. زمن طويل مرّ وأنا أقاوم هذا الولع ..

حتى اشتعل فيّ كل شيء واحترق ..

أعرف كل تفاصيلك ..

أعرف مشيتك وضحكتك ، أعرف كيف هو صمتك..

أعرف أوقات نومك .. أعرف كل شيء عنك ..

سأرسل أخرى ..

لكن عديني أنك يا حبيبة ستردين عليّ ..

محبك الذي لا ينام.. (خـ))

التفتت لي نجلاء وعيناها تنظر إلى لا شيء ..

-لم الاضطراب ؟

ربما أنه من معجبيك ومعجبي كتاباتك ومقالاتك وأسلوبك ..

ليس أولهم ولن يكون آخرهم ..

-يعرف كل تفاصيلي وأوقات نومي يا نجلاء !

-أستطيع أن أقول هذا لأي شخص .. وأنا أكذب !

- شيء ما يحرك حدسي أنه غير كاذب ..

-انزعيه انزعيه من رأسك يريد أن يشتت تفكيرك ليس إلا ..

ابتسمتُ في مكر ومثلت دور الهائم ورمشتُ بعيني

-(يحبني دعيه يحبني)

أومأت برأسها وضحكت «كلكن هكذا «..

غادرت إلى مكتبها ..

واتفقنا أن نلتقي في المساء في مقهى ما..

....

2

صحوت من نوم عميق بعد جهد دام أسبوعًا كاملًا ..

واليوم تبدأ إجازتي .. أود أن أنفض كل التعب عن كتفيّ.. ومن رأسي..

وجدت اتصالات عديدة من نجلاء ..

أووه نسيت الموعد !

طلبتها وما أن تكلمت ..

-نامي نامي .. أنا لا مشكلة لدي أن أقطع الرياض شرقًا وغربًا .. أنتظر سموكم الكريم أن يصحو من نومه ويجيبني ..

-آسفة آسفة نمت والوقت سرقني ..

-ياه صوتك مختلف سكرانة يا بنت ؟

استطاعت أن تخلصني من جو الخوف من لسانها السليط إلى ضحكة مفاجئة

-أيٌّ سكرانة كسر النوم حتى صوتي .. وشعري يحتاج إلى إعادة

تأهيل، أكره أن أصحو والمرآة أمامي .. قلت للخادمة غيّري مكانها مئة مرة ومتأكدة هي أن هذا المكان الأنسب ..

-وجهك جميل والأجمل أن يصحو المرء على مثله ..

-كلمات غزل هذه ؟(قلتها بعدما ابتسمت ..)

-لا بل مازلت في طور قراءة رواية حب ..كان يتغزل بها هكذا .. ولازلت في جوّه قرأت منها ما يقارب خمسة فصول وأنت نائمة .

-والآن ؟

-الآن لاشيء يشفي غليلي منك .. عدت إلى المنزل أنا وروايتي وبلا قهوة ..

-إذا سأعاقبني وأدعوك إلى عشاء الغد ..

-سأتأكد من جدول أعمالي ثم أردّ عليكِ ..

قالتها وهي تكتم الضحكة .. أنا أعلم أنها ستوافق، وقتها يسمح لها دومًا أن تفعل ما يحلو لها وقتما تشاء .. جمعنا الله ببعضنا والحمد لله حين تمّ هذا الجمع .

زوج نجلاء رجل أعمال كبير .. ثري جدًّا ، وسيم جدًّا، محب لها جدًّا، لكنه دائمًا غائب.. لديها ابنة تتضح نضارة ..(يارا) في سنتها الثالثة .. ملأت حياتها وحركت لحن الهدوء في منزلها .

أحبّ يارا .. أحسّ أنها لي ولا يؤكد أنها ليست لي سوى مسمى الأم ..

الطفل يستطيع التمييز ، يجيد قراءة المشاعر فيحب حتمًا من يحبه .. ويرتاح إليه ويسكن له ..تعاملني كأمها تسكن معي وتنام كثيرًا في حضني ..

....

أسمع صوتًا ؟ بيتنا الهادئ لا صوت فيه ..

يسكنه الهواء وأحيانًا خطوات الخادمة ..

أو حديث السائق مع أصحابه عند شارعنا ..

ربما إنها(هناء) ..

أخذت حمامًا دافئًا سريعًا .. ولبست بسرعة .. وجدت هناء وابنيها تتحدث مع أبي ..

هناء أختي الكبرى تليها سعاد، كلتاهما متزوجتان، تأتيان بين كل فترة وفترة للسلام علينا و على أبي، انقضى معظم وقتي وأنا ألهو مع الأولاد .. جاءت سعاد بعدها واكتملت الحلقة ..

حين نهض أبي التفتت إليّ هناء..

-متى ستعودين لعقلك ؟

-والعودة للعقل تعني الزواج هاه؟

-الفرص حين تأتي لا تعود ..ولن تجدي بدًّا من الزواج أفضل على الأقل من الحالة التي أنت عليها ..

-ربما تكون فرصة بالنسبة لك لكنها لي تعتبر كخطيئة.. لو قمت بها كاختيار خاطئ دفعت ثمنها الدهر كله،وحالتي ما بها ؟ لأني وحيدة ؟ لا تخافي لم أعد أسأم الوحدة اعتدت عليها أبدًا..صرت أتلذذ بها

-أمي اتصلت بي اليوم لأقنعك بهذا الرجل .. لن يتكرر صدقيني ..

نظرت إليها مليًّا حين نطقت اسم أمي .. وتشوشت الرؤيا في عيني بسبب الدموع التي اجتاحتها..

-إذا اتصلت بك مرة أخرى قولي لها حياتي سأتصرف بها وحدي ..!

نهضت من المكان وتحججت بأني سأعد قهوة ألذ من التي صنعتها الخادمة ..

وقفت في زاوية من المطبخ أخذت حفنة من مناديل حتى تمتص دموعي المتطفلة ليس وقتها أبدًا ..

آه يا أمي .. منذ متى وهي تهتم لشأني ؟ منذ متى كانت أمي أصلًا ..

زوجها وأبناؤها الآخرون كانوا كل حياتها .. لم أكن كبيرة حتى أستوعب خبر انفصالها أو ابتعادها عني وعن أبي وعن هذا البيت العامر ،

خرجت من الباب دخل الصمت بعدها من الباب الآخر .. صار

البيت هادئًا لدرجة الموت ..

يوم لا ينسى حين كنت صغيرة جدًّا أن أرى من هم ملاذي الآمن هم مصدر خوفي ..

تزوجت أمي بسرعة ، أحبّت من تزوجته أضعاف أبي .. ولم تأبه بنا..

هناء وسعاد ما إن كبرتا قليلًا حتى تزوجتا ..

وأخي الوحيد مثلي ندور في دوامة البيت شبه المهجور

قررت ألا أقف في مكاني أبدًا .. لن أتراجع لظرف كهذا .. لن أكون منكسرة ولا متحطمة .. ولا مقهورة .. أمي الآن ترفل بالسعادة تنجب أبناء آخرين، تحبهم، تحنو عليهم، تسهر من أجلهم ..

وأنا يكفيني من الدنيا أبي رغم انشغالاته ..رغم صمته الدائم ..

أحبّ أمي لكنها لا تهتم لي .. ولا بمكالماتي ولا ترحب حتى بزياراتي .. أو حتى بهداياي .

ربيت نفسي بنفسي، طمحت طمحت وطمحت ولازلت أطمح ..

أقوى الشخصيات هي التي تصنع نفسها .. أساساتها متينة .. ويحركها الألم !

أنا التي سقطت مرارًا ولم أجد من يسندني سوى كفي ..

وحين تعودت على المشي بلا سقوطالكل افتخر بوجودي في حياته ، أبي يفتخر ببنوتي وكذلك أمي تغمرها نشوة الانتصار حين ترى اسمي مسطرًا في جريدة يومية معروفة وتظن أنها هي سبب وصولي هناك !..

صرت مرغوبة .. صار وجودي مرحبًا به في أوساطها .. وبين أبنائها .. بعد أن كنت شبه نكرة ..صعب أن تعلم أنك لم تقدّر لشخصك بل لمركزك أو لشهرتك أو لمالك أو لأي شيء آخر .

لم أعد أفرح بها أعاملها وأصلها للبر لا أكثر .. مشاعري هي الشيء الوحيد الذي لا أستطيع قهره ولا عسفه كما أريد !

3

جُنّت نائلة ..بالتأكيد جنّت ..وإلا بم تفسر أفعالها غير الجنون..

جاءت إلى موقع الصحيفة وهي تلهث متأخرة، قضت معظم يومها في المحكمة ..

-والسبب يا نائلة ؟

-أبدًا كنت بحاجة لأن أكتب توكيلًا لمحمد سأدعه يتصرف في ممتلكاتي ويديرها ..

وضاع الوقت بين المراجعات والشهود و و و..

-عذرًا نائلة ليس تدخلًا في شؤونك، لكن هل تثقين فيه لهذا الحد وأنت بالكاد تعرفينه ؟ لم يمر على زواجك سنة كاملة ..!

صمتت لحظات... منظرها يوحي أنها تفكر أن تسدّ فمي بأي عذر علها تقنعني أو تقنع نفسها، فهي إما تنظر إليّ وإما تنظر إلى الستارة التي خلفي، ثم قررت أن تتكلم بعدما ابتسمت على استحياء..

- يقول إنه يغار عليّ من الرجال ولا يريدني أنا أن أتعامل معهم ..لذا أجبرني على ذلك .

- يغار؟ لا حول ولا قوة إلا بالله (فضلت الصمت على الكلام هو أبلغ من كل ما يقال).

نائلة تزوجت بعد الثلاثين مع أنها كانت على قدر لا بأس به من الجمال ..

إلا أنها كانت ترفض الزواج ظنًّا منها أن كل من يطلبها يطمع في مالها الذي ورثته عن أبيها إلى أن جاء محمد ونسيت كل المبادئ وكل الأفكار السابقة ..وضربت بها عرض الحائط.

نائلة صحفية ناجحة لها مركزها ونشاطاتها ومحمد لم يمنعها أبدًا أن تقيم محاورات وتحقيقات صحفية مع الرجال ولكن في إدارة أموالها هناك فقط(يغار) منهم .

أكدت لي نجلاء إنه الحب (يفعل المعجزات .. ويكسر القاعدات ..)

أي حب هذا الذي يجعلها تصدق كذبة بحجم عين الشمس ؟

أي حب هذا يجعلها تخضع له كأنها (آلية) بكل رضا وتفانٍ ..

أي حب يجعلها ترى الخطأ صوابًا ،والصواب خطأً..

أي حب يجعل محمدًا يسكن معنا في المكتب ، صرنا نعرف ماذا يحب أن يأكل ومتى ينام ، وما معجون أسنانه وشفرة حلاقته .. فم نائلة وهي تتحدث به كان لا يتوقف بل يستمر ويستمر..

الثرثرة به تقتل والوقت لاستماع من هو محمد جدًّا ثقيل وبشع !

....

صباح يوم الأحد كان يومًا ماطرًا ، لم أضع نظارتي الشمسية وتطلعت إلى الشوارع المزدحمة، كنت أراقب الرياض كيف تسع كل محبيها .. تضمهم إليها وكل منهم يظن أن لا أحد سواه يعشقها وتهيم به ..

صباح الرياض يحمل رائحة لا تتكرر ولا تشابه روائح المدن ..

صباح الرياض يحثك على العمل ..

ينصحك أن ترى الحياة فهناك حتمًا شيء جديد ..

أفاقني من أفكاري صوت الفرامل، سائقي لم يسيطر على السيارة مع المطر، سائق لم يكن له سوى شهرين فقط .. لازلت أعضّ أصابع الندم على كل من هم قبله ..

ضربة بسيطة على سيارة أحدهم كانت أمامي ، خجلت من تصرف السائق

وتوترت حين أقبل صاحبها، وما إن رأى امرأة داخل السيارة حتى هدأت ثائرته وتحول تجهمه إلى ابتسامة طفيفة..

-سلامتك يا آنسة ما هذا السائق ؟

-أنا أعتذر يا أستاذ.. وأي شيء يحتاج لإصلاح فقط اتصل بوالدي ..واتفق معه

هذا السائق جديد ولا يتكلم العربية ولا الإنجليزية بإتقان لذا كل محاولاتك في إهانته ستبوء بالفشل ..

أعطيته بطاقة مدونًا فيها رقم والدي ..واعتذرت منه مرة أخرى، لكن نخوته العربية أبت أن يأخذ تعويضًا من فتاة ضعيفة (كما يظن) لا حول لها ولا قوة. أخذ البطاقة وهو يدقق في الاسم .. أخذته لأتشرف بالتعرف على والدك أما التعويض فلا يمكن أن أقبله ..

ابتسمت ولم أتكلم لأني وبصاحة أردت أن أنهي الموقف ..رأسي ممتلئ بأشياء أخرى لا يمكن أن أحشر معها ولا حتى إبرةً..

ذهبت إلى عملي وألقيت بحقيبتي وإيشاربي النيلي على المكتب وفتحت الستائر حتى أراقب هطول المطر مع رائحة القهوة الفرنسية.. والبريد اليومي ..

أشتاق لآراء قرائي ..

كلهم يخاطبون جانبي العقلي، ولا أحد منهم مثلًا سيتحدث عن غير ذلك إلا ما ندر ..

نقاشات، حوارات، شكر، أشياء كثيرة، أتلو على مسامعهم يومياتي ويوميات مجتمعي وكوني الذي أعيشه بالرمز بالتصريح بالتلميح .. وعشرات تعجبهم كما أن عشرات يتشنجون غضبًا منها ..

أقبلت (أم حمد) بأوراق ووضعتها على المكتب، عرفت بمجيئها قبل أن أرفع رأسي، رائحة دهن العود الفاخرة كانت تفوح بين جنباتها، فما إن تتحرك حتى تملأ مكانها بوقار دهن العود..

جمعت شعري المنتثر وأمسكته بين إبهامها والسبابة وهي تسأل:

-يا ابنتي اجمعيه حتى يتسنى لك العمل بسهولة أتريدينه جديلة؟

كان ذلك مع دخول نجلاء، ضحكنا بعمق وهي تتخيل أني أضع جديلة..

وأقابل الجمهور كما تقول بتلك الضفيرة..

-لا يا أمي معي دبوس سألفّه به .

مدت يدها وقالت: (هاتي أين هو؟)

مددته لها لفّته وصار حتى شعري يبعث نفس رائحتها..

نهضت وقبلت رأسها وأنا أقول: (أنت البركة في المكان).

امتلأت عيناي بالدموع عدت إلى كرسيي وقلبي يقول (ليتني حظيت بأم كأم حمد)

أم حمد ستينية وقورة تنقل الأوراق من الإدارة إلى لأقسام.. تعلوها لمحة الرضا..وابتسامة الحب..

حنونة لدرجة لم أرها في بشر، تحتسي معي الشاي أحيانًا وتخبرني آخر تطورات نخلاتها الثلاث، وشجرة التين، وآخر ما طرحته شجرة الأترج ، ومتى يكون الوقت المناسب للقاح النخل،وكيف أن حمدًا يماطل بها حتى أنها تخاف أن يفوت موسم التلقيح ولا تثمر نخلاتها بتمر جيد..

حياتها بسيطة ومبتغاها من الحياة لا شيء ، لا تتحدث عن أحد ..ولا يعنيها البشر ..

ركن تضع فيه سجادتها وتقرأ ما حفظته من القرآن هو كل الدنيا لها ..

من قال إن الحياة تفتقد للطاهرين ؟ أم حمد أطهر امرأة رأتها عيناي بلا تزكية، ليتها كانت أمي !

أخذت نجلاء كوب قهوتي وأكملته .. وهي تبتسم بخبث .. سألتني وهي تجلس إلى جانب مكتبي جهة اليمين ..

- هل أرسل ذلك الرجل مرة أخرى ؟

كانت عيناي شاخصة في الجهاز وأقرأ .. وقلت لها بهمس يكاد لا يسمع:

-ها هو أرسل الآن !

سحبت كرسيها بسرعة جلست بجانبي ..

(ربما ..ما أسعد صباحًا يمتلئ بالغيوم أنت فيه غيمة ..

أحسد كل من أحبك قبلًا ، وبعد .. كل من يستطيع أن يسمعك كلماته وتضحكين أو حتى لا تبالين .. أحسد ذلك الإيشارب الذي أمسكت به ثم لفقته على مقبض حقيبتك، ذلك الإيشارب النيلي .. الذي حتمًا يعبق بأنفاسك ..

ونظارتك التي اختفت اليوم عن عينيك ..

أحسد كلماتي هذه لأنها ستصلك وأنا لا ..

كدت أسحب سائقك الـ.... وأستبدلني مكانه حتى أوصلك بأمان .. ولا أرى نظرة الخوف في عينيك من حوادث الطريق للحظة ..

وكدت أن أقتل ذلك الذي ينظر إليك بلا استحياء لأن سائقك خدش سيارته .

تبًّا له ولسيارته ولكل من يحادثك غيري ..

ربما إنك لم تصدقي حين قلت أعرف كل شيء عنك ، ويحق لك ذلك ..

فمن ذا سيصدق رسالة من مجهول لا تحمل دليلًا واحدًا..

أراك يوميًّا و أنحرم منك حين لا تخرجين ..

الشوارع حين أكون في ظلك تكون شيئًا آخر غير التي أعرفها ..

كلها ورد كلها نباتات مخملية كلها فرش من حرير..

والكاريزما الخاصة بك تجذبني كل يوم إليك وإلى الحياة ..

يومي يبدأ مع الجريدة مع مقالك ..

أحيانًا آخذها من مقر الجريدة نفسها قبل أن يأتي بها ويدسها تحت بابي ..

رجل يومه يبتدئ بك وينتهي بك ، يموت لأجلك ويمرض لمرضك..

سنوات يتحمل الصمت عن حبك حتى غلبه الإعياء وتكلم ..

يفهم أن الحياة ريما .. وريما هي الحياة بدون ريما موت محتم

لذا حافظي على هذه الروح حتى لا تتلفي لي روحي ..

المرسل: خـ)

انتابني خوف غريب بعد هذه الرسالة ..صرت أحس أني مراقبة .. أن أحدًا ما خلفي طوال الوقت ولا أراه هو فقط يراني ..

كشعورك حين تقرأ عن الأشباح .. أو تتابع فيلمًا سينمائيًّا مرعبًا .. ويطلبون منك النوم بعد ذلك ..

يعرف أين أسكن يعرف عملي ومكان مكتبي ..

استمرت رسائله الهائمة لا تتوقف ، وكل رسالة أشد وقعًا في نفسي من التي هي قبلها .

ليس مبدعًا في الرسم لكنه رسم ملامحي بشكل مبسط ،حتى إن هناك شامة صغيرة تحت كفي كان قد رسمها..كل شيء تخيلته وكل أمر توقعته يحدث مع هذا المجهول الذي لا أعلم من أين جاء لي ..

نجلاء كانت تفكر كثيرًا في أمره ، تارة تطلب مني ألا أستمر في قراءة ما يقول ..

وتجد نفسها هي قبلي تسأل عنه وعن جديده ..

أدخل الـ(أكشن) كما تقول نجلاء على حياتنا الرتيبة .. في البداية كنت فقط أخاف منه ولا أهتم ، الآن أنتظر متى يرسل ومتى يأتي (الهوت ميل) بحروفه !

4

مرضت هذا الأسبوع كانت موجة أنفلونزا قوية قد أصابتني ..

أخذت على أثرها إجازة لأسبوع كامل..

كنت على فراشي .. تزورني نجلاء بالعصائر والأدوية ، تهتم بي أكثر من أخت أكثر من مسمى صديقة، الصديقات لا يفعلن مثلها ..ولا حتى الأخوات !

أعجب كيف ظهرت في حياتي هكذا فجأة .. وكيف جعلت لي متنفسًا لهمومي ..

كيف أني وجدت لهذا الضغط الذي أعيشه رفاهية لا تعادلها رفاهية ..

الصداقات تنقلك من الواقع الذي لا تريده لواقع تريده .

كم أمقت عبارة احذر من صديقك ألف مرة ..سيقتلنا تخوين الغير والغدر الذي لا نعلم عنه ونظل نرتقبه كل العمر ، رغم أن حياتنا جدًّا قصيرة ..

لن أحذر نجلاء .. لأني وببساطة بدونها أفتقد حتى نفسي !

لم تسمح لي صحتي أن أتحرك ولا أن أتابع عملي ..

في مكاني تلهبني الحمى ويفتتني الصداع ..

بعد أن خرجت من عندي نجلاء كانت قد طلبت مني النوم وأن أخلد للراحة تمامًا لأعود لها ريمتها التي تعرف ..

قمت وأغلقت الأنوار وقررت أن أنام قليلًا .. دفنت نفسي في بطانية ثقيلة وأخرجت رأسي فقط وأغمضت عيني ..

نسيت أن أقفل فم هاتفي النقال سمعت نغمة رسالة واردة .. فتحتها على تثاقل ..وما إن قرأتها حتى صرخت بلا صوت ..

(تصبحين على خير ، قلت لك انتبهي لروحك حتى لا تتلف روحي .. أنا أهتم بك من بعيد

لابد أنك نمت يا دنياي لأنك أطفأت الضوء... خـ)

نهضت بل فزعت وفتحت الستارة وتأملت كل السيارات الواقفة..

لم ألمح شيئًا غريبًا ،كلها سيارات متكررة ولربما أنه يكون في أحدها وأنا لا أعلم .

لا أحصي سيارات الجيران وخاصة الجديد منها..كل شيء مخيف ..

والاستفهام الكبير الذي يعيش في رأسي كيف توصّل لرقم هاتفي؟!!!

ارتجفت أضلاعي .. وكدت أموت خوفًا واضطرابًا وكل شيء

صحيح أن تحس أن أحدًا يحبك في هذه الحياة الجافة يملأ غرور روحك المتعبة ..

إلا أن الخوف كان يحاصرني .. مم أخاف لا أعلم .. البيت سوره عريض طويل ولا يمكن لأحد اقتحامه .. أبي وأخي نائمان فيه لكني لازلت أخاف ..من يقتل هذا الشبح الذي استوطن روحي.

عدت إلى فراشي وأنا أرتجف، أتلو آيات متفرقة، أتلو المعوذات ولساني يلهج يااارب !

آخر الأسبوع لم أتحمل قلة نومي وسهري .. لم أعد أشعر بالأمان وبالطبع لا أحد يعلم شيئًا ..

طلبت من أبي أن أبيت عند نجلاء يومًا لعلي ترتد إليّ روحي وأستطيع أن أنام ..

خرجت في وقت لا أخرج فيه عادة كنت أراقب البيوت وسياراتها وكل الأشخاص المتحركين في المكان .. لا شيء يلفت النظر..

أقبلت عليها وعيناي حمراوان من إرهاق الأرق .. وترتجف كفاي وأكتافي من اللاشيء..

حتى أن دمعتها سقطت حين رأتني بهذا الحال لكنها خبأتها عني ..

وكعادتها تقتل توتري بمزحة :

-لا أعلم من الذي هام بالآخر !

-أنا طبعًا .

ابتسمت واستأذنت لتعد القهوة بنفسها لأني أحبها من صنع يدها هي..

أحسست بالأمان وأني لن يمسني سوء هنا .. ملت على طرف الكرسي .. ولم أر شيئًا ورحت في سبات عميق ..

صحوت بعد ساعات لا أعلم كم ، وجدتني متدثرة بالمفارش والوسائد ظلام يتوسطه نور خفيف، لم أسمع أي صوت مزعج إلا من همهمة التلفاز من مكان بعيد ..

أخذت هاتفي .. كان مقفلًا ..

سحبت خطاي ..واغتسلت، وضعت لمسات بسيطة من المكياج حتى أخفي ملامح الإرهاق والتعب..

قابلتني يارا .. نسيت كل شيء لمجرد رؤيتها .. ضحكتها ..واتساع عينيها ..

ملامحها الجذابة التي أخذتها من والدتها .. كانت تجمع بين البراءة والمرح ..

ذهبت لنجلاء دخلت عندها ثم تراجعت حين سمعت صوت رجل..

أقبلت وهي تهمس ..

-صباح الليل .. الناس الآن ستنام وأنت للتو مستيقظة ..

-تعب تعب، من هذا إياك أن يكون زوجك ؟

-أي زوج بقي على مجيء عصام أسبوعان ، هذا أخي أسامة ..

-سأجلس عند التلفاز أنا و يارا حتى يذهب .

-هل أخبره شيئًا عن هذا الذي يزعجك ؟ عله يجد حلًّا.. الرجال يفهمون بعضهم

-انتبهي أن يعلم أي إنسان عن هذه القصة ..رجاء يا نجلاء..

....

مكثت عندها قرابة يومين وبعدها قررت الرجوع الى منزلي ..

سهرت حتى ساعة متأخرة بعد أن استنفدت كل طاقتي من التسوق ..

خرجت بعد الساعة الثانية حتى أنها طلبت مني المكوث لأن الوقت جدًّا متأخر ..

لكن الغد كان يوم عمل سأحاول الذهاب لأنجز ما تراكم علي ..وحتى أجهز ملابسي وأغراضي.

كعادة الرياض لا تعترف بالمساء..

صحيح أن الشوارع ليست مزدحمة .. لكنها لا تخلو أبدًا ..

خرجنا من شارع رئيسي لشارع فرعي .. هذا السائق الجديد يريد أن يريني كم هو متقن لشوارع ومتاهات الرياض..يريد أن يختصر وكان اختصاره فوق رأسي !

لا أعلم هل مرّ بزجاج أو منطقة بناء ففجرت المسامير الإطارات الجانبية اليمنى ..

كل ما أعلمه أنني انتابني الهلع .. وصرخت بلاشعور..!

برحمة من الله لم تنقلب السيارة حيث إنها كادت ولم تفعل فقط برحمته تعالى بي ..

أسندت رأسي وأنا أحاول أن أمنع دموعي الخائفة .. وبقيت لدقائق لا أتحرك.. ولا أتكلم ..

الليل موحش .. أحسست ألا أحد في الرياض سواي ..

فتحت عيني على صوت رجل كان قد لفّ شماغه على وجهه .. ولم تظهر إلا عيناه

كانت ملابسه فاخرة ومنظره يوحي أنه من طبقة ليست أبدًا متوسطة..

نزع لثامه واقترب يسألني بهدوء :

- سلامتك ، أصابك ضرر؟

لا أدري لم هذه الغصة الغبية أبت أن تخرج إلا حين سألني ..رددت عليه وأنا أبكي

-لا الحمد لله بخير.. أنا بخير..

سحب المناديل من جانب السائق وأعطانيها ..

كانت ملامحه تلك التي تعبّر عما يختلج في خاطره كانت عيناه تنظر إليّ بطريقة غريبة لم أرها في أحد من قبل !

كانت ملامح مترفة تنضح بحنان خفي لا أدري ماهيته..

-السيارة يستحيل إصلاحها الآن كما ترين لا بدّ من وقت كافٍ ولا يصلح أن تمكثي في الشارع في هذا الليل وحدك وبصحبة سائق .

-لا بأس أريد (تاكسي) لو تكرمت .

-لا أتوقع الفكرة صائبة الساعة قاربت على الثالثة ولا أنصح أبدًا بهذا الحل .

-أعطني حلًّا إذا..

-أركبي أنت وسائقك معي سأوصلكما والسيارة من الممكن إصلاحها غدًا ..

المشكلة أني اتصلت بأبي وأخي هواتفهم مقفلة عادتهم السيئة هذه لا أدري متى سيتخلصان منها ..

ليس أمامي إلا هذا المترف.. يراودني شعور غريب تجاهه شيء يقلبني بين الراحة والاستفهام .

-هيا تعالي لن يأخذ الوقت دقائق حتى نصل ..

هنا بدأت سيارات تقف لترى ماذا حصل وأوه بنت جميلة مع سائق غبي ..

حاولت أن أفتح الباب لكن السيارة كانت مائلة قال لي:

- لا لا من هناك تعالي من الباب الآخر

حاولت النزول كدت أقع حين مال توازني أمسكني بقبضته القوية مع معصمي وفوق مرفقي وهمس بدون شعور (بسم الله عليك)

وقف خارج السيارة حتى أركب أولًا ..سيارة Bmw سوداء.

أغلقت بابي كان الملفت في السيارة رائحة عطر ستلا كان يعبق في كل مكان ..

السيارة مظللة مع كل الجهات كانت أشبه بغرفة نوم هادئة..

مسجل الصوت كان قد أخفض صوته يردد صوتًا أعرفه جيدًا ..

مقطوعتي الموسيقية المفضلة لوقت طويل لكني منذ زمن لم أعد أهتم بها ..

ركب السيارة وبدأ بسم الله ..

بدأت أخبره في البداية عن الطريق ..

حين رنّ هاتفي ..كانت نجلاء تريد الاطمئنان عليّ هل وصلت أم بعد كعادتها ..

رفعت رأسي وجدته يسير في الطريق الصحيح لمنزلي ..

كان يذهب يمينًا دون أن يخبره السائق أو أنا .. ويتجه يسارًا أيضًا دون أن أحدد له أين !

لم أرد على نجلاء بل أرسلت لها رسالة قصيرة ..

(أنا في سيارة المجهول خ ركبت معه دون أن أعلم !)

سمعني أشهق شهقات متتابعة تنمّ أن هناك بكاء مكتومًا ..

-يؤلمك شيء أذهب لمستشفى ؟

أشرت برأسي أن لا ..أريد أن أصل بسلام فقط هذا كل ما أريده ..!

ردت نجلاء

(هاتي رقم لوحته واسم سيارته بسرعة يا مجنونة).

لم تعلم أني لم أنتبه لشيء لا للوحته ولا أنه كان يتبعني كل الوقت دائمًا وفرصته الآن أن ينقذني ..

الآن فقط اقتنعت تمامًا إنه يعرفني بشكل مقرب .. وإلا من

أين له هذه المقطوعة التي كنت أفضلها لسنوات !

أوصلني إلى باب البيت دون أن أخبره عن شارع واحد .. ولا عن لون بيتنا ولا رقمه ولا اسم شارعنا ..

يحفظ كل أماكني عن ظهر قلب .. ولم يهتم إن عرفت أم لا .. التفت إليّ وقال:

-أمعك مفتاح ؟

أجبته برعب:

-هاه معي معي ..

-لن أضرك أبدًا .. أنت أغلى عليّ حتى من نفسي ..

ابتسم ابتسامة طعنت قلبي ، لأول مرة أرحم شخصًا خفت منه لوهلة كان الماء يترقرق في عينيه ..

ولمعة فرح وألم وحسرة كلها تتفجر من ملامحه حين التفت اليّ .. حمل كل أغراضي ووضعها عند بابي .. أسمعه يهمس بينه وبين نفسه (بسم الله عليها بسم الله عليها)

وأسرع إلى سيارته وجلب منها قنينة ماء .. فيها نصفها ..

-اشربي قليلًا حتى يهدأ خوفك .. والله لن أؤذيك .. ولن يستطيع أحد أن يمسك بسوء ..

كان سائقي الغبي نائمًا أوقظه وفتحت الباب ولم ألمح أنواره فارقت المكان ..!

5

لم تفارق صورته مخيلتي أبدًا ..

يسبح فيها ليل نهار .. حتى وإن نمت .. وجدتني أستيقظ وفي قلبي نشوة غريبة ..

يزورني في تقلباتي وفي يقظتي .. أجدني أحلق بعيدًا .. إلى مكان لا أعلم مداه ..

ولا أعود إلا حين ينتشلني أحد مما فيه ..

من أين ظهر لي هذا؟

لم يذكر أبدًا على كثرة رسائله كيف عرفني ولا كيف عرف أدق أدق معلوماتي عني ..

أفصح عن اسمه الأول فقط .. ولم يذكر اسم عائلته ..

بالتأكيد خالد من عائلة مرموقة .. يتضح ذلك من هيئته..ومن ملامحه التي تخلط مع الترف آلام حب قديم .. صلابته تدل أنه مهتم ببنيته، فحين أمسك بيدي أثّرت قبضته على جلدي ساعات ..حتى زال الاحمرار

ابتسامته الحزينة لم أرها في رجل من قبل ..

يعرف كل شيء .. أكلاتي المفضلة ، ما أحب وما أكره ..يعرف كوامن شخصيتي كما يزعم ، لكني إلى الآن لم أتأكد من ذلك .. لكنه كلما قال لي شيئًا أثبت لي أنه لا يكذب أبدًا.

يرسل لهاتفي أنه ينتظرني أن أنام حتى ينام هو الآخر ..

وما أن أخفف الضوء .. حتى يرسل أخرى (تصبحين على خير ..نوم الهناء والعافية)

لا أدري لم ربط حياته بي لهذا الحد ولم تعلق بي بهذا الجنون ..

رغم أني عزمت أن لا أدخل الحب إلى قلبي مرة أخرى ،فما جاءني منه قد كفى !

****

أتراني تعلقت به ؟ أو أحببته مثلًا ؟

ردت نجلاء وهي تكتب على الجهاز :

-لا لم تحبيه بل أعجبت باهتمامه بك ، كلنا نحتاج الاهتمام وما أن نلقاه عند أحدهم حتى نتشبث به . المرأة يا ريما لا تحتاج إلا إلى اهتمام ،مكالمة بسيطة من زوجي عصام يذكرني أنه اشتاق إليّ .. وأنه يتمنى أن يعود اللحظة حتى يبات في أحضاني .. تقتل عنائي لأيام ..

يكفيني من عصام أنه كلما مرت ساعة أشعر فيها بفقده .. أجده أحس بي وأرسل أو اتصل.

أن نكون في جدولهم الأساسي وفي إحساسهم هذا كل ما نريد، المصيبة حين تكون المشاعر ثلجية وتعلوها هالة من ضباب وقتها يموت كل شيء فينا .

كنت تخافين منه وما إن رأيته وجهًا لوجه حتى انمحت صورة الخوف وحلّ مكانها شيء آخر

ربما الراحة التي تنبعث من الأرواح تفسر كل هذا ، لكني متأكدة أن رعايته لك كانت هي ما جذبك ..

-تعلمين يا نجلاء أنا بعد سعود أقسمت ألا أحب ، سعود أهان كل مشاعري وقتل أمنياتي ..

أبشع ما يمر في قصة حب هي ما حصلت لي ..

-من قال إن الحب يحارب بالقسم ؟ لو كان كذلك لما أحب أحد.

الحب يتسرب إلى الأعماق بخفية حتى يثبت جذوره العتيدة وإذا تأصل ..أعلن تواجده وهو بكامل سيطرته ،الحب لو كانت له فلسفة أخرى فلن نعدو أن نكون قاصرين كلنا عن فهمها .

أقبلت العاملة بكوبي شاي ووضعتهما على المكتب ..

لملمت الكوب بين يدي .. أحس بالبرد رغم أننا في جو معتدل نسبيًّا ..

تأملتني نجلاء وقالت بهدوء :

-انتبهي ليديك لا تحترق ثم يبتلينا خالد !

دخلت نائلة علينا ونحن نضحك ، سحبت كوب نجلاء وتساءلت : هل شربت منه ؟

-لا لا ليس بعد ..

جلست واحتست منه وهي تقدم عرضًا مذهلًا :

-نود أن نخرج اليوم مع المجموعة إلى المقهى ما رأيكن ؟

-والمناسبة ؟

-محمد سيسافر يومين وأريد أن أتنفس وأرى الناس وأخرج.

تركت كوبي وسألتها :

-وهل سيحضر معنا محمد الليلة أيضًا ؟

- تهزئين بي ؟ تعلمين أن محمدًا كل حياتي .. ولا أجد شيئًا أتكلم فيه أو عنه سواه ..

-أنا أعتذر، سأزور أختي الليلة ربما نجلاء لا تمانع .

توعدتني نجلاء بنظراتها لأني وضعتها في مأزق :

-هاه .. حتى أنا ،أنا مرتبطة ..

نهضت وهي تقول (المهم إن غيرتما رأيكما اتصلا بي) ..

الخروج مع نائلة ممل"جدًّا م .. منذ أن ندخل المكان نبدأ بمحمد وحتى نسلم الحساب للنادل ونحن مسبقًا متشبعات منه في النهار ..

....

في المساء كنت عند هناء ألاعب أبناءها وأقتل وقتًا من فراغي ..

ذهبت مع أخي سامي ..

وكان لا بدّ من فتح أمر الزواج كالعادة !

لكن هذه المرة من سامي ..

-ريما صديقي في العمل عرض علي أن يتقدم لك لكنه يريد رأيك مبدئيًّا قبل أن يكون الأمر رسميًّا .

- لا أريد .. لن أتزوج في الوقت الحاضر.

-اسألي من هو من عائلته ربما يعجبك؟

-أنا الآن ضد الفكرة أحتاج إلى وقت .

-ريما لا تغضبي مني لكن ليس كل الرجال كسعود !

تركت ما في يدي والتفت إليه عيني في عينه :

- للمرة المليون هذا الإنسان أو المخلوق لا أودّ سماع اسمه لا معكم ولا مع غيركم

عانيت حتى نسيت، أرجوكم ارحموا إحساسي الذي يتجرح كل يوم بسببه تستكثرون علي النسيان فقط أتمنى أن تنسوه كما نسيته أنا.

انفجرت بالكلام وبالبكاء ، كنت مضغوطة كفاية بسبب ما يحدث لي وزادني اسم ذلك البشع، أحس سامي نحوي بالرحمة وأسند

رأسي على صدره وهو يردد (آسف لم أكن أقصد).

في طريق العودة ..

قال لي سامي بكل حنان :

ريما أنت تحتاجين إلى إجازة وسفر، لا بد أن تغيري من وضعك الذي تعيشينه ، لا تظني أني لم أنتبه إلى قلة نومك وشحوب وجهك الأيام الماضية ولم ترتاحي إلا حين نمت عند نجلاء.

-أحتاج أن أسافر يقتلني التفكير والخوف .

-خوف من ماذا ؟

صمت لوهلة أظن أني تكلمت دون أن أزن الكلمة :

-خوف... خوف من المستقبل ..

-ليس هذا كلامك يا ريما أنت مثقفة وواعية وتعلمين أن المستقبل سينالنا منه ما ينالنا وما كتب لنا.

-صدقت ، أود السفر مع نجلاء ،هل تتوقع أن أبي سيوافق ؟

- لا عليك أنا أقنعه سأسافر بك وأؤمن لك مسكنًا واذهبي مع نجلاء ومتى ما انتهت الرحلة أنا سأرافقك إلى الرياض .. وطردًا للخوف الذي تزعمينه سأكون في الفندق نفسه إن أردتني في أي شيء أنا في الخدمة ،ما رأيك خدمات عشرة نجوم ، ريما واحدة في حياتي أنا !

(يرزقنا الله من يجعلون جروحنا تلتئم ويمحون آثارها رغم أنهم لم يساهموا في صنعها !)

قبلت يده ورأسه ورجوت الله ألا يحرمني منه ..

6

للظروف تأجلت السفرة إلى الصيف ..كانت كحلم لا أدري هل أصل إليه أم لا ..

أسافر أنا ونجلاء إنه فعلًا حلم .. أحسست بالترف حين تخيلت فقط..

نمنح الأمور أكبر من حجمها أحيانًا ونمنع في عاداتنا أشياء ليست ممنوعة أصلًا كل جيل يخاف من الجيل الذي سبقه ، كلنا نخاف من كلام الناس .. والناس هؤلاء حين اكتأبت لفترة وكدت أموت كمدًا.. لم يلتفت إليّ أحد ولم أكن ملفتة لانتباههم للحظة ، لكن متى ما كان في الأمر سعادة وفرح لي .. تبدأ الرقاب تشرئب لترى هذه الصحفية المتمردة تلك الكاتبة المتحررة ماذا ستفعل أيضًا ؟ كل من يخرج عن سربهم فاسد ، كل من يفعل ما يتمنون فعله ولا يستطيعون فهو خبيث .. أو في أحسن الأحوال متحرر..

أنا لن أعيش للناس .. أنا أعيش لنفسي لكني أحترم الناس كعلاقات إنسانية أخلاقية بحتة، لكن ما إن يتعدون على خطوطي سأشعل ضوئي الأحمر وأفجر كل من يحاول مسك ذراعي.

حين كاد سعود يفتك بحياتي لم أر أحدًا منهم يمنحني الهواء .. الكل بخل بهوائه ..

لم يقف معي سوى صديقتي أما أبي كان صامتًا .. و سامي كان متعاطفًا معي لكنه لم يحمل لي ردًّا يشفي غليلي ..ولا تصرفًا يطفئ نارًا مسجرة في ممرات قلبي .

أمي لم يكن يعنيها الموضوع .. كانت ردات فعلها ثلجية .. أما أختاي رحمة بصمت ..

بعدما خطبني سعود مسبقًا .. توقعت أن كل الحياة انحازت لي .. وأنها لفت لي على طبق من ذهب ..ظننت أنه سيكون أفضل رجل ..وسيغار كل الرجال من حبي له ..

كل شيء صار ورديًّا .. كل شيء صار بعبق الورد ..

حلق بي وحلق و حلق حين اطمأن أني في أبعد غيمة تركني أهوي وأتناثر..

سعود ..

كان يدّعي حبه لي .. يبعث إليّ برسائل مخفية المضمون ، يحتاج مني دقائق حتى أفهم مقاصده، أحبّ هذا الشعور، أحب المختلف ..ربما جذبتني الغرابة ..

تواصله معي كان جدًّا مختلف عما أسمع وأرى ،كانت رسائله القصيرة متأججة، أما حين يهاتفني بصوته يبدو شخصًا آخر غير الذي أرسل إحساسًا وشعورًا، حتى العبارات تختلف ..

غريب الأطباع ربما إنني لم أفهمه أو إن هناك شيئًا ما لا يجعلني أستوعب تصرفاته ..

لكن الأكيد أن لكل شيء تفسير ..

وكل حديث صغير يختلج في الصدر حقائق كبرى في الحقيقة ..

هناك شيء يصرخ في ويحذرني منه لكني لم أسمعه ولم ألقِ له بالًا !

حتى حين انتهيت صمت الصوت وألجم فاه للأبد ..

والآن هذا الآخر ظننت أن قلبي أتقن سدّ أي موجة تود تخترقه..

وأن أحدًا لن ينفذ، لكنه يجذبني..ويحاول التسرب إليّ ..أحاول إظهار القوة لكني بدأت بالضعف.. كلما تشددنا في صدّ الحب كلما ازداد تحديه لنا ..

لازالت رسائله لا تنقطع، بعض العبارات لم تكن جديدة عليّ، مرت بي مخزنة في ذاكرتي .. حتمًا سأعرف من أين له كل هذه المعلومات التي يندر أن يعرفها أحد عني .

ذاكرتي صارت تحمل صورته بشكل دائم، ذلك المترف ذو الملامح الجذابة والحزن العميق ..

رأيت سيارته كذا مرة وهي تقف بعيدًا عند منزلي ، وأحيانًا حين أكون في السوق أجدها بين المواقف قد أخذت لها مكانًا غير بارز ..

سيارته مظللة لا يتسنى لي رؤية وجهه بوضوح ..

عدت ذات يوم من مناسبة رسمية ، وما إن بدلت ملابسي ، حتى جاءتني رسالة منه فيها كلمات مشتعلة يقول فيها :

(ريما كان جمالك باهرًا ، لست بحاجة لتلك المساحيق، كان وجهك ملفتًا ..أكثر من المعتاد ..

كل الرجال الموجودين نظروا إليك بتأمل ومتعة وهذا أشعل جنوني ،

أحدهم كان يردد ذكر الله حتى لا يحسد ما رآه، أف لهم !

كدت أن أصطدم بسيارتي أكثر من مرة، ريما أنت رائعة بدون المساحيق .. وان كان ولابد منها فاسحبي جزء من طرحتك المنقوشة بخيوط فضية على وجهك حتى لا يسرقوا ملامحك مني.

آآه يا ريما ..كيف سأنام الليلة ؟ وأنا الذي يشتعل دبيب الغيرة في صدري ويلهب عظامي ، لا تفعلي ذلك من أجلك بل من أجلي، أحتاج لأيام كثيرة حتى أنسى توقد أعينهم فيك ..وأنسى الوجع الذي يشاطرني حبك ..

(خالد ذو الجنون العظيم !)

لا أدري لم شعرت بالفرح يغمر قلبي، غيرة لا تعرف الهدوء، هذا الشيء أحبه ،

أحب أن أشعل هذه الغيرة المجنونة في الرجل .. أحس أنها تفصح عن كل ما لا يود إفصاحه ..

لا أحد يجبره أن يتبعني في كل مكان ، لا ينظر إليّ ولا لنظرات غيري ولينتهي الموضوع ..

لم أكن أتوقع أن هناك من ينظر إليّ كما يزعم ، لكن تفحصه لوجوه الرجال جعله يعرف كل ما تهمس به صدورهم ..

لأول مرة أفكر في الرد عليه .. لم أرد أبدًا من قبل لا على البريدية ولا على الهاتفية ..

هذه المرة أحسست بروح المغامرة، شيء انتشى في صدري وقلبي تعكر مزاجي إلى استمتاع..

كتبت نصًّا وما إن هممت بإرساله حتى تراجعت ..

ما تظنين نفسك فاعلة ؟ نزوته ستذهب وأنت ستتجرعين من كأس الذكريات وحدك ..

دعيه دعيه دعيه ! ..

ياه ذلك الصغير بدأ بتخويفي ثانية من يسكته ؟

بدأت أجراسه تحاصرني، وعلامات التحذير تطن وتعميني وتكمم فاهي ..

جرح السابق بالكاد اندمل ، لا يحتمل القلب جرحين فقد ينفطر..

كلما انفتح لي باب يسعدني وجدت ألف شيء يحذرني من الولوج!...

7

هذه الأيام كان الضغط في العمل عاليًا.. أغلب زميلاتي الصحفيات كن قد كلفن بمهمة تحقيقات وجمع معلومات وكانت نجلاء من ضمنهن.. فكنت أنهي عملي وأحاول مساعدتها.

أذهب معها إلى موقع الحدث فنجمع بين المتعة والعمل، أكثر ما يعيق حركتنا هي التحرشات من المتواضعين فكريًّا .. يظنون أن أي امرأة في الشارع حق عام ..متى يلقنون هؤلاء درسًا حتى يتعلموا أن كل شيء نستطيع فعله إذا تهذب العقل ، وتغذى الفكر .

بعد جهد طويل انتهينا وانتهت بنا المحطة إلى مطعم قريب من موقعنا.

بعد أن اغتسلنا ورتبنا بعثرتنا كانت الطاولة الفارغة للتو على الشرفة لا أمانع أبدًا في أن أرى شارع من شوارع الرياض كيف يمتلئ ومتى يفرغ من السيارات التي لا تنقطع والبشر المتباينين عقولًا وأشكالًا..

بعد أن طلبت طبق السلطة الإيطالية والتي لا أجدها في مطعم إلا وقد تصدرت قائمتي أحب الجبن بكل أصنافه وتفرعاته حاولت هجره أكثر من مرة لكنه ينتصر علي ..

بالطبع لم ترض نجلاء على طلبي الصغير فأضافت لي على ذوقها ..

أخذت نفسًا عميقًا وأسندت ظهرها إلى الكرسي وابتسمت في فرح هادئ:

عصام سيأتي غدًا، لم أره منذ قرابة الشهر، افتقدته واشتقت له هذه المرة بشكل أكبر

- إذن أنا إجازة من حياتك القادمة ؟

- مجنونة ؟ بالطبع لا أنا بدونك لاشيء، هذا زوجي وعشيقي وأنت صديقتي بل توأم روحي، هناك فرق في نوع المحبة يا غيورة.

رددت ابتسامتها بأخرى ولمعت عيني رحمة بحالي ..قلبي الضعيف لا يحتمل بعدها وتمكنت هي من كل تفاصيل يومي ..

حاولت أن تنقذني من هواجسي الداخلية فأنا بالكاد خرجت منها مؤخرًا بعد الأزمة النفسية المدمرة .. تلك التي زجّت بي في سجون الحزن شهورًا قاسية ..

-انظري للسيارة البيضاء أنوارها الليزرية تكاد تفتك بنظري وتتلفه، لكن خطتي القادمة أن أشتري مثلها تمامًا.

-أنا أخطط لشراء بي أم سوداء..

قلتها في خبث وعيني لازالت على السيارات .

صمتت نجلاء لوهلة ثم عادت تتكلم في هدوء وتشير إلى سيارة تقف بجانب المطعم ..

-مثل هذه تمامًا؟

وقفت بشكل لا إرادي لأدقق النظر ..نعم هو ! إنها سيارته !!

-منذ أن كنا في الموقع وهو يتبعنا .

- لم تخبريني ! قلتها في عصبية وتشنج .

دارت أنظاري في المكان وحاولت عمل مسح شامل لوجوه الموجودين

أوه ..!

هناك يرتشف القهوة وعيناه تحدق بي بلذة ..

حين تفقد إحساسك بقدميك وبجسدك، حين ترى الأرض تدور في فلك واحد، في وجه واحد، في عين واحدة حينها لن تتحكم بسكون أطرافك .. وعدت أرتجف ،ليس وقتي أبدًا كيف أني لا أتحكم بجسدي وردات فعله ؟!

ضمت نجلاء يدي بكلتا يديها قد فهمت أني رأيته ..اقتربت مني:

-اهدئي سأحاسب ونذهب حالًا.

-عدت بنظري لنفس المكان وقد غادر المترف ذو العينين القاتلة ، ترك كوبه الساخن ..وقلبي المحترق في المساحة نفسها .

لا أفهم هل هذا حب أم خوف أم لذة حياة جديدة أم أنني بدأ

يخترق قلبي شيء لا أوده ولا أتمناه، بدأت خوض معركة جديدة أعلم تمامًا أني الخاسرة ، لا أتفاءل أبدًا بنهايات حبنا العربي، لا نهايات سعيدة وإن حصل وكانت نهاية سعيدة فلابد أن يلطخها الموت ..

أقبل النادل بابتسامته العريضة وهو يخبرنا أن الحساب دفع من شخص يدعى خالد ..

-كنت في وضع لا أحسد عليه أبدًا ..لا أعلم كيف أهدئ تلك الطفلة الصغيرة التي بداخلي إنها ترتجف أكثر كيف أهدئها وأجعلها تنام قريرة ؟

أمسكت بيدي نجلاء حتى وصلنا وفتح السائق الباب ..وقتها لم يكن ميزان التحمل عندي متزنًا أبدًا ..فقدت السيطرة وانهارت تلك الصغيرة في صدري ..أظن أنها اهتالت من رجفة ضلوعي، ضمتني نجلاء إليها وتتالت شهقاتي على صدرها قبلتني وساعدتني في الركوب.

رأته نجلاء وقلبه يكاد أن يتفطر لكنها لم تخبرني حينها تمامًا كما أخفت نبأ أنه معنا في كل مكان ..أرسل بعد عدة دقائق إلى هاتفي رسالة :

(لم أتوقع أبدًا أن رؤيتك لي ستفزعك سأعاقب نفسي إن لم تغفري لي !)

ثم تدفق سيل رسائله تلك الليلة:

(ليل بهيم أسود يجثم على صدري .. أنفاسي أصبحت متقاربة،

والهواء صار قليلًا في فضائي ،شهيقي اسمك وزفيري آهات تحترق.. تقرحت جفوني .. والألم أخذني لعبته يدور متعاكسًا ليعتصرني ، رد واحد يهدئ كل هذا أرجوك!)

كنت في فراشي وكان الوقت مقاربًا للفجر أقرأ رسائله وقد تكوّن مجرى مائي من طرف عيني لمخدتي ..

لقد أقسمت ألا أحب كيف يريد أن يقتحم حياتي هذا بكل هذه السهولة؟

لن أفعل ، لكني الآن أضعف ..وقوتي التي تمسكت بها بدأت تسكن..

وأضاء هاتفي هذه المرة لم يضئ برسالة وإنما بمكالمة منه ..

لا أدري كيف سمحت لي يدي أن أجيب ..

وكيف تنازلت مفاصلي لتضغط مفتاح الرد ..سمعت صوته المتهدج ..يتكلم ولا ينتظر إجابة:

-ريما .. أحبك ريما .. ريما أحبك .. أقسم أني أحبك ..لا أحتمل غضبك مني أو خوفك أو أي شيء تسمينه..ريما.. ارحميني ريما !

جمعت كل قوتي لأحدثه وقد كانت واضحة نبرة التعب في صوتي..

-من أنت ؟ ماذا تريد مني ؟ ولمَ تتبعني ؟؟؟

-أنا..أنا خالد لا يمكن أن أذكر اسم عائلتي الآن حتى تعرفيني

كما يجب وأريد منك أن تكوني سعيدة مبتسمة أن تحققي كل آمالك كل ما تتمنيه .. وأن تكوني لي ..لي فقط !

أما لم أتبعك فاسألي قلبي الذي يسوقني لك سوقًا، أقسم أني لا أنوي لك المضرة ،

ولا أنوي ....

صمت صوته ..تحركت من فراشي وجلست ..وكل حواسي معه ..حروف متقطعة كلما همّ بكلمة قال حرفين منها وابتلع البقية ..

اعتصر قلبي عليه كم تمنيت وقتها لو ربّت على كتفه وهدأته ومنحته السكون الذي يستحق !

انهار تمامًا ..عبث به العشق لدرجة متقدمة ..لا أدري منذ متى وهو على هذه الحال

كل ما أعرفه أنه بلغ منه مبلغ الموت ..صوته كمن يملك رمحًا في جنباته ودبابيسَ تسري في دمه فيزداد الوخز كلما فكر بي وهو لا يفتأ!

تحولت مشاعر الغضب إلى مشاعر رحمة.

-خالد ،اهدأ اهدأ،أنا بخير ..

كان كالطفل الذي يبحث عن حضن أمه وما إن وجدها حتى تعلق بصدرها وأغمض عينيه ونام بعد أن امتلأ بالسكون ..

سكت تمامًا .لكنه يسمعني ...

مشكلتي أني أعرف بصمات هذا الصوت صوت المشاعر التي تتفجر من القلب لا من طرف اللسان ..صوته متيم إلى الثمالة ..صرت أحدثه بهدوء:

-خالد أنا سأنام الآن لكني فعلًا بخير .

أقفلت الهاتف ولم أنتظر الرد ..

....

وأنا في طريقي إلى العمل أرسل أخرى :

(لم أكتشف أن دواء كل علّاتي بعضٌ من صوتك ..

نمت وأنا لم أفعل منذ وقت ..شكرًا لك يا كل شيء !)

وصلت مكتبي ووجدت عليه كيسًا ومغلفًا ..وحين نظرت باستغراب قالت لي (أم حمد) وصل للتو إفطارك..

- لكني لم أطلب شيئًا .

- وضعه أحدهم عند الباب وقال يصل ليد ريما .

فتحته باستغراب، ألف بالمئة إنه هو لكن لم ؟

وجدته فطيرة مشبعة بالجبنة .. والزعتر .. تمامًا كما أحبها ..

وضع في وسط المغلف ورقة بخط رجالي .. (كما تحبين .. بهناء وعافية)

كيف يعرف هذه الدقائق التي بالكاد يعرفها أحد ؟ كل خصوصياتي يمتلك معلومات عنها وأنا أبدًا لم أره ولم أحادثه قبلًا ولا أتذكر اسمه، اسمه ؟ لم امتنع أن يخبرني باسم عائلته ؟

بالتأكيد أني سأعرفه لو قالها .. بالتأكيد إنه قريب لي . لكن ملامحه لا .. ملامحه تلك لم تمر علي أبدًا وجهه من النوع الذي لو لمحته مرة لن تنساه ما حييت ..

من الوجوه التي تحاول عبثًا الاكتفاء من التأمل فيها .. ولكنك تفشل ..

أخذت هاتفي وعدت إلى رقمه الذي كان الأخير ..

ردّ بعد لحظات، الواضح أنه لم يكن مستوعبًا أن المتصل أنا ..

قمت بحركة غير إرادية وأقفلت باب المكتب حتى لا يسمعني أحد وأنا متوترة ..

-قل لي بربك ماذا تريد مني اتركني وشأني ، لا أريد منك شيئًا، أنت جاسوس ؟

كل شيء تعرفه ؟ كل شي تعلم عنه ؟ ما هذه المصادفة العجيبة..!

كف عني أنا لي حياة واحدة لا تطيق المزيد من الجروح ولن أتحمل ولن أسمح لأحد أن يفسدها أكثر.

تكلم بنبرته المخملية التي يحافظ فيها على اتزانه، كان صوتًا

مختلفًا عن البارحة، صوتًا مطمئنًا وكلماته مرتبة كأنه أعدّها من قبل..

-لن يسعدك أحد كما أنا ، ولن يحبك أحد كحبي أنا ، ولن أتركك حتى لو أوصدت خلفي مئة باب سأكون لك فقط ولا أطلب غير هذا ، سألبي طلباتك سأسعدك وسأعمل على ذلك بأكبر قوة يرزقني بها ربي ..لن يكلفك ذلك ، حتى لو كلفني عمري وأهلي ووالدتي التي تبكي من أجلي ليل نهار تظنني مسحورًا ، وهي لا تعلم أني مسحور فيك وحدك ..

ريما أمي تبكي كثيرًا حين ترى حالتي تسوء لكنها اليوم سعدت حتى ضحكت حين رأتني أفطر معها وأتحدث معها كما كنت قبل أن أعرفك ..لا يد لي فيما يحصل بها، ولم أحافظ على صحتي كما هي تتمنى ، لأني كنت أراك ولا أصلك ..وحين استطعت أن أحدثك سقطت جدُر كثيرة و انهدمت سدود عظيمة ..

حتى عملي قلصت صداقاتي وبقيت مع نحت صغير فيه اسمك . وشيء كان لك لكنه الآن معي لا أفارقه أبدًا وأصبح عليه في أول نهاري..

لست مجنونًا .. بل فقدت عقلي حين عرفت أن في الكون أنثى كأنتِ !

هذه المرة دوري لأقول لك اهدئي وتنعمي بإفطارك أنا سبقتك يا حبيبتي..

....

8

سامي بدأ يدقق في تصرفاتي ويلاحظها بشكل أكبر مما قبل ..
أعلم أن كل هذا خوف علي، لكني لم أتعود على هذا ، شخصان يهتمان بي في وقت واحد كان كثيرًا..

يحاول هذه الفترة أن يعيد علاقتي بأمي ويجعلها أقوى من قبل، يتوقع أن بُعدي عنها جعلني أشعر بالوحدة المزعومة تحملت وتحملت ثم قلتها له بكل هدوء:

(سامي أنا لا أعرف أمي حتى أفتقدها أنا حياتي منصبة تمامًا على عملي وعلى صديقتي فقط !)

-وأنا لست ضمن قوائمك مع أني كنت أظن أني كذلك .

-أنت الأساس يا سامي أنت وأبي حياتي كلها، أنا أود أن أبيّن لك فقط أن كل محاولاتك في أن تكون أمي من أساسيات حياتي فاشلة لأنها وبكل بساطة لفظتني من حياتها ..

سأزورها كما تريد سأهتم بها رغم أنها لا تهتم لكن لأداء واجبي فقط وليس لشيء آخر.

أمي مصرة منذ فترة أن أنام عندها في عطلة نهاية الأسبوع تحججت شهورًا كثيرة

وفي النهاية سكتت عن الطلب وهذا يدل أنها حملت في نفسها شيئًا،بعد حديثي مع سامي قررت أن أفاجئها وأفعل ما طلبت خاصة أن هذه الفترة نجلاء مشغولة كثيرًا مع زوجها ..

وصلت منزلها وقد امتلأ المجلس بضيفاتها، لم أكن أود الدخول عليهن كنت أود الاختفاء حتى يذهبن لكنها أجبرتني ، نساء من فئات عمرية متقاربة ، لكن الاهتمام يجعل كأن الفارق الزمني بينهن يفوق العشرة إلى الخمس عشرة سنة أحيانًا ،بعضهن يرتدين أبهى الحلل مع اهتمام واضح في الشعر والبشرة وطريقة الحديث والمكياج الفرنسي الطفيف يجعل منهن جذابات على أنهن كبيرات ، أحترم الأنثى التي تظل أنثى مهما طال بها الزمن ولا ترتكئ على الحزن بفوات عمر الشباب ، أوقن إيقانًا تامًا أن الشباب يسكن القلب ولا شيء غيره ، هناك من لم تتجاوز العشرين وتعكز على الأسى وتقتات الهموم التي تعشش في رأسها وتستضيفها لتنهش من شبابها وفتوتها وهي مستسلمة تمامًا .

دار الحديث عن أشياء سلبية كثيرة، ألمح الكذب في لمعة أعينهن فليس من المعقول أن كل هؤلاء النسوة مظلومات مما يسمى الرجل !

يلفظن تناهيد جارقة بلاستيكية معظمها على ما فعل بهن من ظلم وقهر وقتل للحياة ..

حتى أنك تخال أنهن كلهن تزوجن بالرجل ذاته !

لم تذكر أم سارة كم جنّ جنونه حين مرضت وكيف أنفق كل وقته بجانبها في المستشفى وهو يحترق خوفًا على أن تضيع منه ، ولم تذكر الأخرى أنها تملك الكثير من المجوهرات التي تتمناها كل النساء وسكن لا يحلم به أحد، ولم تعدد الدول التي تسافر لها في كل صيف بتنسيق من زوجها المحب ومن حر ماله.

أعلم أن الحياة ليست ماديات فقط، لكن شيئًا يشفع لشيء آخر، معظمهم لا يجيد التعبير عن الحب حرفيًّا ، لكنه يجيد أن يفعل ويثبت بما يصنع لا يقول

السعادة نحن من يصنعها ونحن من يبتكرها ونحن من يبذرها وبيده أن يسقيها أو يبيدها تمامًا..!

متعة تمثيل وتلبس دور المظلومة شيء يجيده حتى من لم يقع عليه فعل الظلم حتمًا..

آن لنا أن نرفع أيدينا في كل لحظة شكرًا وحمدًا على نعم الله التي لا تحصى وفوق هذا ننكرها ونتشدق بعدم وجودها أصلًا ..عجبًا.

التفتت إليّ إحداهن لتسرق مني الحديث الذي يدور في رأسي ، وهي تقول :

-لماذا لا تكتبين عن ظلم النساء وعن تسلط الرجال علينا مادمت كاتبة ولك ثقلك

انشري الفكرة...

ابتسمت وأنا اغتصب الكلام أن يظهر لأن مثل هذه المواضيع تناقش في كل مكان وكل وقت:

- هناك فعلاً ظلم لبعض النساء اللاتي لا تملك حولاً لنفسها ولا قوة، شخصيتها ضعيفة فرضيت بالظلم ولم تدافع، وهؤلاء كان الله بعونهن لكني لا أرى منكن امرأة مظلومة حقيقة وأنا مستعدة أن أكتب عما قلت إذا أسهمت إحداكن بتفاصيل حياتها الحقيقية وعن اقتناع تام منها، لكني أريد اعترافًا مسبقًا بوقوعه فعلاً وان لا حسنة واحدة في ذاك الرجل الذي مزّق حياتها.

تبادلن النظرات ثم التهين بأي شيء إلا في الحديث عن الحقيقة، أعلم أن حديثي لن يروق لهن أبدًا تعود مجتمع النساء على التأييد من باب المجاملة، وإن خالفت امرأة امرأة أخرى فالويل والويل لها وجدت خصمًا حاقدًا لها مدى الحياة !

سيكون كلامها مقصودًا وعباراتها لها معاني أخرى فلا حلّ في مثل هذه النفسيات إلا هجرها أو الصمت أثناء التعامل معها.

بصعوبة كبيرة استطعت تقبل النوم هناك، نحن نعشق أماكننا التي اعتدنا النوم فيها دائمًا، فيها رائحة الأمان التي تتسرب من الجدران والنوافذ، وتنبعث من المخدات الدافئة.

بالرغم من أن هذا البيت ممتلئ والذي أسكنه شبه فارغ إلا أني أمتلئ به وأكون فارغة من كل شيء حتى أعود إليه .

تصنعت النوم حتى يختفون من حولي وأظل وحدي في هدوئي الذي أعرفه،

جلست دقائق ينتابني جنون غريب، هل أقفز؟ هل أهرب مسرعة؟ هل أتصل بسامي ليأخذني تحت أي عذر؟ كلها ليلة ليلة واحدة وتنتهي فلأمتطِ الصبر وأدرب نفسي على التمثيل المتقن ،سأصرخ وأقول إني أحلم أَحلامًا مزعجة وأعود ،لابد أني فقدت بقايا عقلي.

تمتمت وأنا أنظر إلى السقف المظلم: (يارب خفف حملي المثقل وهب لي نعاسًا !)

بعد ثوانٍ جاءتني رسالة من خالد :

(يا طفلتي رأيتك مهمومة عينك تدمع وقلبك يخفق بشدة ، من هذا الذي آذاك ؟).

كتبت له :

-(لا أحتاج شيء سوى غرفتي الآن).

-(بقي على موعد استيقاظك الأصلي وقت قليل ،اقرئي أي شيء افتعلي فكرة واعبثي بها ، خذي أوراقًا ومزقيها أو خذي قلمًا واكتبي اسمي مئة مرة كما أفعل أنا باسمك وحين تصلين للثمانين لابدّ أن تكوني نائمة تمامًا كما أفعل).

-(أكتب اسمك مئة مرة ؟ أعدك قبل المئة سأنام كما أني أعدك أني قبل أن أصحو لن أجدني حين يقرؤه أحد ما ! مجنون)

-(أوه نسيت نسيت هههه أكتبي اسمك أنت إذن،استيقظت على صورتك أمامي فأيقنت أن هناك شيئًا يعبث بقلبك ويحرمك النوم .. أسمع صوتك ؟)

-(لا)

ابتسمت منتصرة حين غلبت نفسي التي تنازعني عليه وتقول حدثيه لا يهم اسمعيه ربما يقول لك شيئًا يدس الفرح في ليلك الكئيب .

-(حتى لاؤك مميزة ،ونادرة أسمع صوتك الآن ولا قوة في العالم تمنعني من سماعه ، نامي نامي بهدوء يا صغيرتي)

ابتسمت وأنا أمسك بالهاتف ، دفنته في صدري وصحوت بعد مضي خمس ساعات !

رغم أن أحدهم لم يتوانَ عن رعايتي وتدليلي كضيفة إلا أني أبدًا لم أتعود على هذه الأجواء ولا على هذا الجو الصاخب، أمي أنجبت من زوجها الثاني ثلاثة ولدان وبنت.

الظمأ الذي يسري في عروقي تجاه أسرتي الحقيقية الكئيبة أكبر بكثير من تلك التي كانت جديدة علي ويودون بعد كل هذه الأيام الحارقة إقحامي فيها.

نحن نحب تربتنا مهما كانت جافة ومهما كانت خشنة وحين نبتعد عنها أو نستبدلها نموت !

اتصلت بنجلاء وهربت إليها، زوجها بدأت رحلته وعدت إلى مرجعي الأصلي وراحتي الحقيقية.

لم تقل نجلاء شيئًا حين علمت بتطوراتي مع خالد ، كانت تستمع فقط وتلتهم كلماتي التهامًا بعينيها ..

أعلم ما يدور في خلدها من خيبات قوية حين فعلت ما فعلت لكنها لن تقول حتى لا تحزنني، وأنا التي أكاد أحلق بلاشعور حين أتحدث عنه وحين أردد كلماته وما يفعله ..

لابد أنها ترحمني وأنا التي تتكلم بكل براءة الأطفال عنه، طفلة أوتيت لعبة تتمناها

من ذا الذي يجرؤ على نزعها منها ولو كانت مؤذية، فرحتها تقتل كل محاولة أن تتركها ..

بعض الأشياء تبعث لنا كدواء مسكن يهدئ نفوسنا إلى أجل مسمى، ثم بعدها تعبث بنا التأثيرات الجانبية جراء استخدام هذا الدواء ..

متيقنة أنا أن وجوده في حياتي كان مصباحًا .. بدّل لي الليل نهارًا وجعل لكل شيء مذاقًا.

أعلم أنها بداية وأن ما حدث لم يكن ليسمى شيئًا مذكورًا لكني كنت أحتاج اهتمامه كما قالت نجلاء وأحتاج لرجل يغمرني بحب مجنون كحبه !

جوع في عاطفتي يكاد يتلفها رغم أني قوية على كل شيء إلا أن هذا هو الشيء الوحيد الذي لم أتمالك أن أقف عنده وقوفًا تامًّا .. نقطة ضعف تخللت حياتي وسمحت لها بالدخول وأنا أبتسم .

9

حياتي كشريط مخطط مسافة منه بيضاء وتعقبها سوداء أنا الآن في السوداء الحالكة وارتقب نهاية الخط لألتقي بالأبيض !

قد يكون هذا ظلمًا لأني فعلا بدأت أحس باقتراب البياض حين أطلّ عليّ خالد واقتحم حياتي .. وجعلني أشرب من ألوان الطيف وأعبث بالغيمات وأحلق بعيدًا،

بدأت مشارف الأنوار تقبل، وعلّي أن أودّع ما كنت فيه إلى عالم أجمل..

أن تكون المرأة هي المحبوبة أكثر فعملية الحب هنا أنجح بنسبة كبيرة، فالرجل سيحتويها، سيحافظ حتى على هوائها الذي تستنشقه مما يشوبه .

هو يعشقني أكثر أنا لا أقارن به أبدًا وبالرغم من ذلك كنت مختالة بهذا الشعور الذي يحتويني مع جهاتي الأربع ثم ينكس ليحاوطني ويتخلل كل مساماتي !

أخبرني باسم عائلته وكل تفاصيله إلا أن هناك جانبًا كان يخفيه عني متعمدًا ..

وحدسي القوي يقول إن العقدة كلها فيما يخفيه ، لم أحاول أن أصرّ على المعرفة

فبعض التفاصيل تفقدك لذة الحياة بأكملها ..

حين ترى كيف تزرع الورود من البذرة حتى القطف تهون عليك ويقل شأنها مما لو رأيتها بارزة بثوبها الملون دون أن تعرف لها تاريخًا، وحين رأيت شكل الزجاج كيف ينفخ ويصهر صرتُ أتأمله كقطع نار بردت وصارت آنية للشرب والأكل ، لو تأملت ما وراءه وما يخفيه سأفقد حتمًا لذة غموضه وندرة وجود هذا الإنسان شبه المتكامل على سطح الأرض.

التغافل أحيانًا يمنحك فرصة المتعة التي لا تنفد !

هذه الأيام أشنّ حملة على كل ذكرياتي أحاول قفز كل ما هو محزن منها حتى إنني بدوت أنانية نوعًا ما لأني لا أريد أن يمس مملكتي بشر فيتلفها..

أدراجي التي شهدت هداياي التي كان يرسلها لي سعود باتت فارغة لأني أرجعتها له كلها رغم أني لا أؤمن بإرجاع الهدايا، لكن وجودها في غرفتي كاد يخنقني ولم أستطع أن أتخلص منها بالحرق مثلما رسائله الورقية ..لم تكن رسائلَ تمامًا ،كانت كبطاقات كل بطاقة منها كلفتني حزن دهر كأنها تقتص مني مقدار الفرحة التي منحتني إياها وقت أن كانت الأمور غير الأمور !

جميل منظر الأدراج الفارغة، إنها تذكرني حياتي كلها كانت ممتلئة بوجوده وما إن رحل فرغ كل شيء ..

لم أنتظر منه عودة ولن أتقبله حتى لو عاد لأني اكتشف خللًا في أشياء جوهرية في شخصيته، في تعاملاته، في كذبه الذي لم ولن أغفره له أبدًا!

أن يمتص أحدهم مشاعرك ليجعلها كحلوى يزيّن بها مذاق أيامه يجعل منك وحشًا كاسرًا حين تعلم أنك لم تكن إلا كقطعة حلوى فقط..

في قعر الدرج ثبتت قطعة ورقة حاولت سحبها لأنها حتمًا تسللت مني أثناء انهياراتي المتتابعة أيامها ولم ألمحها من قبل ..

أوه كانت جزءًا من بقايا الكاذب ..!

مكتوب في بعض أسطرها..

(يا لون الماء شفافيتك تفتنني لألونك كما ينبغي ..)

امتلأت عيناي دموعًا، هذه العبارة أعرفها وسمعتها كثيرًا لكن ليس من سعود فقط!

فتحت هاتفي وجعلت أبحث كالمجنونة في رسائل خالد، كان يقول هذه الكلمة في مقدمة أغلب رسائله

(يا لون الماء كيف هو الصباح في غرفتك وعلى طاولتك الخمرية ،كيف هي ملامحك حين تطرد لوثة نومك ؟)

(لون الماء عبثًا أحاول إيقاف تفكيري بك فيتمرد حتى يغدو طفلًا تائهًا في ممرات رأسي لست أتحكم به أبدًا!)

أهي مصادفة ؟ لا أبدًا ليس تعبيرًا مستخدمًا بكثرة لألتمس لقلبي العذر أو له النزاهة !

سعود وخالد يجتمعان في بعض العبارات ظننت أني أتوهم ذلك كثيرًا حينما أستمع إلى خالد وحين أقرأ لسعود ..!

كان الإحساس المخيف أكبر مني ومن استيعابي، رفعت الهاتف باكية لأستنجد بنجلاء تأتي وتساعد عقلي الصغيرعلى استيعاب هذا الكم الهائل المخيف من الأسئلة التي لا تهدأ!

دقائق وهي بجانبي تقرأ البطاقة وتقارنها بالرسائل ..

- الأسلوب نفسه ..

-نجلاء هل أنا غبية أو مغفلة ؟ هل كل ما أمر به كذبة أخرى ؟

خللت أصابعها في خصلات شعري وهي تتكلم بهدوء وتحاول أن لا تتأثر بتهدج صوتي أو بانهياراتي المخفية :

-لا لست غبية ولا مغفلة لطالما كنت تقولين لي هناك سر يخبئه لكني لا أعلم ما هو ولن أسأله، حدسك لم يكذب يومًا أنا أؤمن به ..لكننا حين نعيش الفرح نطرد كل فكرة تنغص علينا رغم أنها أجراس إنذار لكننا لا نصغي لها دائمًا إلا بعد فوات الأوان ..

-فسري لي ما هذا ؟ كيف لشخصين أن يحملا العبارات نفسها والإحساس نفسه؟

خالد كلامه في الرسائل كما هو على الطبيعة ، لكن ما قتلني في

سعود أن له أسلوبين، شخصية أمامي تختلف تمامًا عما إذا كان قابعًا خلف ستار، رأسي سينفجر!

سحبت هاتفي ومدته لي وقالت بكل هدوء:

-هو سيفسر لك كل شيء لا أنا.

-سأنتظر حتى الغد حالتي الآن لا تسمح أن أحدثه.

-الآن...

-تفهمي حالتي أقسم أني لا أستطيع !

كنت في حالة تخدير لأني لا أريد أن أصحو فيتوهج الألم ،كنت أطيل مدة أن أكون لا أعلم عن شيء ،لأني بمجرد العلم سأسحق أمام نفسي وسأفقد خالدًا ..

-ربما... بدلي ملابسك لنخرج لن تهدأ الفكرة إلا إذا انشغلت عنها بأي شيء..

كانت صورة أحدهم في عيني اليمنى والثاني في عيني اليسرى ..كلما أغمضتهما لأنسى تفجرا في خيالي ..أكاد أصرخ أمام الناس، أكاد أمارس أنواع الجنون في تصرفاتي لكني كنت أتعامل مع العقل بهدوء حتى لا أفقده تمامًا..

هل سأكون كجارات أمي ؟ وأبدأ في سنّ لساني عمّا يفعله الرجل ليقتل ما تبقى من المرأة ؟

أبدًا أبدًا لن أكون كذلك يكفيني من الرجال أبي وسامي وبقايا ملامح خالد التي لم أعرف على أي وجهة أقلبها خير أم شر؟

ثم إني أجد أوجاعي أغلبها من النساء اللاتي ينبت تحت قلوبهن مرتع من الخبث وعلى ألسنتهن ورود نبتت في وحل، لا يهم النوع ما يهم هو فقط تلك المضغة ..

وصلت إلى البيت مجهدة، استنفدت كل تفكيري لابد أن أنسى أو حتى أهدأ..

وأنا أستعد للنوم في المساء الصامت مرّ ببالي سؤال ملح حاولت طرحه أكثر من مرة لكني توقفت وامتنعت .. ثم عاد الإلحاح يقضّ مضجعي،

هذه المرة سأتجرأ وأفعل ليكن ما يكن إما أن أتجرع الصدمة أو أجد لهذا القلق مهدئًا

.. أرسلت ..

(منذ متى وأنت تعرفني ؟)

لم يتأخر بالجواب : (أحببتك قبل أن تظهري في حياتي لأني رسمت امرأة صفاتها أنت لا شكلًا فقط بل قلبًا وقالبًا فوهبني الله إياك من حيث لا أعلم .. أما منذ متى وأنا أعرفك كتاريخ أكملت الآن سنتين وثلاثة أشهر ..وبضعة أيام)

أرسلت أخرى :

-(لماذا الآن فقط ؟)

-(لم أشأ أن أدخل في عالمك حتى تتخلصي من لوثته ..)

ارتجفت وأطلقت صرخاتي في وسادتي ورائحة الخذلان تخنقني تكاد تفتك بي ..

ينتظرني حتى أتخلص من لوثة سعود ؟ ويعرفني منذ أن عرفت سعود؟!

أي مصيبة عمقها مؤلم لا يهدأ إلا بالبتر التام أو بموتي ؟!

لا أملك حكمًا للموت والبتر لا أتحمله.

بقيت أنوح لدقائق كالسيل الهادر لا أدري من أين لي تلك الحسرات ولا أين كانت تختبئ..!

أرسل بعدها رسالة وكأنه رأى حالتي الميتة :

-(لقد عبث بي كما عبث بك، كان يقتلني بك كل مرة، وكنت أخضع حتى لا أفتقدك للأبد، كان صديقًا يملأ حياتي ولأجلك تركته بلا تردد..

لا تجعلي الخيبة تعتمرك لأني فعلًا لست مثله ..يومًا ما ستعرفين ذلك)

-(دعك مني ، انتهى كل شيء يا خالد)!

10

في مقر الجريدة لم يكن في صدري متسع لحديث جانبي أو ثرثرة مع هذه وتلك،

اعتمرت الصمت المخيف وقبعت في مكتبي أعمل دون أن أنطق ..

بعض الهموم تتكلم عنك تهلكك بحديثها في الداخل حتى تفنى كل كلماتك المسموعة و يخالك الناس أبكمَ ..! زميلاتي كن يفهمن هذه الحالة التي لا تصيبني إلا نادرًا ، فلا يحاولن الضغط علي أو إجباري على ما يضايقني ..

ما الذي أنا أفعله ؟

هل أنا أقيم الحداد على فرحتي الصغيرة التي نبتت وفي غضون أيام اجتثت من عروقها ؟

أم أني حزينة على شيء لم يكن إلا في بدايته ؟

ربما إنها خيبة أمل بحجم كبير لا يسعه قلبي .

لمست الصدق في عيني خالد وكلماته و إحساسه وكل شيء فيه حتى نبرات صوته كانت تتفجر بما تنطق به روحه ..أيعقل أن هذا كله كذب؟ أكل الرجال مثل سعود ؟ خالد مثله ؟ لا لا أظن ...

لم أسمع التفاصيل لعلها تهدئ من عذاباتي ..

ماذا يريد مني هذا السعود ليعود بشكل آخر بهيئة رجل مختلف تمام الاختلاف عنه.

رأسي تمرد وما عاد في طوعي..

المكتب من حولي يدور والحروف متكررة حتى الأوراق لم تكن بشكلها الطبيعي ، أشعر بالإعياء ..

خرجت من المكتب باكرًا فأنا لم أعد أستطيع أن أتوازن ..

ألحت نجلاء عليّ أن أذهب إلى طبيب أو توصلني بنفسها لكني رفضت..

أعرف علتي ولن يعرف لها سواي ..قليل من النسيان واستعادة قوة قلبي السابقة

كفيلة أن تغسل رأسي من كل أفكاره.

سيارته كانت بمحاذاة سيارتي في المواقف، ارتعدت حين رأيتها ثم سمعته يكلمني ..

-ريما اسمعيني لآخر مرة وبعدها افعلي ما شئت ..

المكان لم يكن مناسبًا للحديث فأنا أمام مقر عملي أمام الناس ونفسي أيضًا كانت تلومني أن أقف معه وقد كان من بقايا صديقه ..

قوتي التي زعمت وجودها كانت متبخرة أمام وجهه ، وصوته الشجي المكسور ..

أمام عينيه التي تكاد أن تتقرح ..

مكثت ثواني أفكر بما سأقول فما رأيته أمامي أبدًا لم يكن إلا إنسانًا ميتًا في جسد حي !

-انتهى كل شيء يا خالد ،أنت تعرف أن المسألة ليست سهلة بالنسبة لي أبدًا،

ثم إن المكان هنا غير مناسب لخوض الأحاديث ..

صمت قليلًا وامتلأت عيناه من حيث لا أعلم ..

-سعود قتلني يا ريما قبل أن يقتلك ! أقبّل يديك فقط اسمعيني..

وحتى لا أطيل الحديث أكثر أمام بناية الصحيفة .. قلت له أن يقول ما شاء في وقت لاحق ..

رغم أنه فجر تفكيري من جديد إلا أني مثلت الصمود وأني لم أهتم بما قاله ..

نحن كالوحوش الكاسرة على قلوبنا والمصيبة نلوم أنفسنا كل الدهر على أذيتها..

لم ينصرف حتى حددت له وقت اتصال مناسب لي ليقول ما في جعبته..

لأرتاح ربما ، ليرتاح ربما ..

وربما أيضًا إن الصغير الذي يتحدث في رأسي يريد أن تستمر الحياة بوجود هذا الخالد، هذا الذي لم ولن أرى كحبه ما حييت !..

ما حدث هو أنني لم أرغب تمامًا في محاورته ،حاولت لكني لم أتجرأ لأسمع ما سيقول لأن الخوف مما سأسمعه يكاد يقتلني ولا أقوى على التحمل ..

نخاف من المجهول لأنه مجهول ولا سبب غير ذلك أبدًا يجعلنا نفعل ..

ولم أرد على أي من اتصالاته فلعلي أهدأ وأتخذ قرارًا صائبًا بعيدًا عن أي تأثير..

بقيت لأيام لم أخرج من المنزل ربما أن شبحًا من البؤس بدأ يسكنني وربما أني أجدد عهدي بالاكتئاب ،لست ضعيفة حتى أصاب باكتئابات حادة ربما أنا أساعد نفسي على الدخول في هذه الدائرة واستمتع بها، لأن الماديات من حولي كلها متوفرة ما ينقصني هو أشياء لا أعرفها.

أرسل خالد هذا الصباح رسالة على الإيميل أعتقد أنه كتبها وقت الفجر ..كانت حديثَ نزفٍ صامتًا

لو كنت متفرجة ولست في المشهد نفسه ولا على الخشبة نفسها ..لأقسمت أن من يحبها خالد ليست سوى ظالمة جائرة متكبرة ..ولدعوت عليها بالثبور وواليت عليها الشتائم .

كان يقول :

(أيام لم أنم فيها تمامًا كما يتطلبه جسدي المنهك ، لا يهمني النوم كثيرًا لأن النوم بلا رأس يكاد يكون إضاعة وقت لا أكثر ..أمي

تقنعني أن أذهب إلى قارئ لأن الانتكاسة التي أنا فيها لا تخرج عن شيئين في نظرها، إما مس وإما عين ..أمي لا تعترف بالحب وتظن أنه حديث يتشدق به الفارغون ليسلوا أمسياتهم الفارغة أيضًا ولا تعلم أنه أشبه بالمرض العضال الذي توغل في ابنها ولا يجد له حتى طبيبًا ليجتثه ويستأصل ألمه الذي يجعلني أشبه برداء بالٍ..

أشعر بشيء لا يعبر عنه بالكلام ولا بالكتابة شيء قد يراه أحدهم في مواطن روحي في داخل عيني وأوقن إيقانًا تامًّا، أنه لا يمكن أن يظهر لأحد إلا لأنثى تدعى ريما ، تلك التي سكنت روحي وحاولت جاهدًا أمنعها أن تفعل لكني كنت كالمكبل لا أملك لنفسي إلا أن أرثيها ..

الروح حين يسكنها أحد يتسارع إليها التلف ..وتكون هي الآخر !

ربما يحمل رأسك تساؤلات لا تقف عن من أكون ما علاقتي بسعود، لكني لا أرضى أن يتعب قلب كقلبك أو يتعذب وأنا حي .. ولو أملك أن أتكفل بمن يرعاك بعد مماتي لفعلت الآن ..

أخبرني سعود بخطبته لك ، ورغم أن خطبته كانت تقليدية نوعًا ما لم يتوقع بعدما تعرف عليك عن قرب أنك تملكين مثل هذا التفكير ومثل هذا الذكاء الحاد ،واستوعب أنه سيخسر المعركة حتما ما لم يسعف نفسه ،قلت له إنه يتعامل مع امرأة مختلفة، عرفت ذلك من أسلوبك، لكنه أصر أن يقاوم ويربح قلبك مهما كانت الطريقة ومهما كان الأسلوب هدفه النتيجة فقط النتيجة !

لم يرضَ بالخسارة حين رأى البون الشاسع بين تفكيرك وتفكيره ، هو مرح يحب الحياة لكنه لا يملك عمقًا .. مؤهلاته أبدًا لا تليق بك ربما ..

اقترب مني أكثر وأكثر كان يريني كل ما تكتبينه له ويسألني كيف أردّ وما الطريقة التي ممكن أن تعجبك وتنبهرين به ..

سألته أكثر من مرة وماذا ستفعل إذا تزوجتها هل ستحتاج مساعدًا لينقل لك ما يجب أن تقوله وما لا يجب ؟ طالبته أن يكون كما هو لكنه يثق أنك لو عرفت فراغ داخله لن تتقبليه وسترفضينه بدون أدنى شك..

كانت رسالاته لك كلها مني أنا أكتبها وهو يرسلها باسمه ، ولعلك تلاحظين أن سعود المتكلم على الهاتف يختلف تمامًا عن الذي يرسل قلت له ستلاحظ لكنه لم يهتم .

لم يكن مبدئي حين تعاونت معه أن أغشك أو أعبث بمشاعرك.

أتعلمين لم رضخت وحققت له مناه ؟

عشقتك منذ أن قرأت أول حرف لك ، وبقيت أتقلب بين رسائلك وهمساتك كل هذا قبل أن أراك ، ليست خيانة له لكنها روحي أبت إلا أن تتشبث بك أنت وتجعلك تلتفين حول ممرات دمي، فصرت أتعذب في كل لحظة أراك مع سعود تظنينه الفارس المبجل وكل ما فيه هو أنا وليس أحد سواي ..

أتعذب حين يبتسم لك وأنت تحادثينه وأكاد أحترق حين تُفتنين بكتاباته وأكاد أحطم كل شيء وأخبرك أنه أنا أقسم أنه أنا.

وصلنا لدرجة مقربة جدًّا كنت أخضع في كل شيء حتى أكون قريبًا منك ..

كنت أصرّ على إيصاله إلى بيتك وأمكث أنا في الخارج أكتفي بأثر روحك حولي و لك أن تتخيلي غيرة رجل هائم متحطم موقن أنك لرجل آخر وأنا من يساعده لأن ينتزع قلبي مني..

كدت أن أموت حين أراني صورتك ذات ليلة وطلب مني أن أكتب شيئًا عن ملامحك ..

الصورة ذهبت معي إلى غرفتي ومكثت في كفي وعلى صدري.

لأول مرة أرى امرأة مثلك يا سيدتي ..

تجمع كل فتنة الكون عقلًا، تفكيرًا، جنونًا ..أنثى مختلفة مختلفة مختلفة !

قضي علي حين تجمعت كل الصفات تلك في امرأة تحمل مواصفات أجمل أنثى تخيلتها، من أين جئت إلي ؟

سأعود لأكمل لك لكن بعد أن أهدأ..)

وضعت أم حمد كوب القهوة ولم أصبح عليها لم أنتبه لها أصلًا ..كانت عيناي حمراوين كجمر، لم تقل لي أي شيء،بل احترمت حالتي وأعتقد أنها أجلت فكرة سؤالي ..

شربت القهوة مُرة دون أن أهبها طعم السكر ولا أدري متى سيهدأ حتى يرسل الثانية، كل ما أتمناه أن يكمل الآن لأني بدأت أتلف !..

بعض الحقائق مخيفة ..نركض وراءها لتزيح القناع وتنكشف ، وما إن نراها حتى نسقط مغشيًا علينا من بشاعتها ..

11

ستشرق الشمس يومًا ما على سعادتي ، لأني أثق تمامًا أن بعد كل حزن فرح قد تطول المدة أو تقصر لكن لا بدّ أن هناك ثمة جرعة مسلية تتناوب على أيامي ..

ربما أكثر ما ينهكني هو أني لا أستطيع البوح لأحد عما أعانيه مهما حاولت أن أخفّف عنه مع صديقتي إلا أن أمتع الحوارات مع أصحاب الشأن ذاته، أتوق لمحاورته لمعاتبته لوصف خذلاني الكبير، لم أكن بحاجة إلى أن أدخل نفسي في متاهة المشاعر لكنه أقحمني إياها رغمًا عني ، وقبلت بها ليس لأني مجبورة بل لأني كنت استمتع وها أنا أدفع ثمن المتعة أضعافًا..

في المساء يتوجب عليّ أن أستعد، لدى هناء مناسبة صغيرة في بيتها وأصرّت على مجيئي ..

رغم أني لا أشعر بحماس لأن تفكيري جدًّا مشغول بهذا الرجل وبانتظار رسائله التي توقفت.

أشعر بخوف من فقدانه وخوف من قربه ..

لبست ملابس ناعمة وهادئة ووضعت كذلك مكياجًا خفيفًا ..

تركت شعري على طبيعته فكان ملائمًا لمظهري

اتصلت بي نجلاء وأنا في الطريق ..

-ربما ذهبت لبيت أختك ؟

-ها أنا أتوجه لها .

-امممممم تعالي أريدك .

-ماذا هناك ؟ أنت بخير؟

- أنا بخير لكن ..

-دقائق وأكون في بيتك .

في عينيها توتر وحديث طويل ..

-ربما كان أسامة أخي عندي منذ قليل و...

- وماذا أتلفت أعصابي وهي منتهية !

- كان يتحدث عن أصدقائه اكتشفت أنه يعرف خالد !

كانت كل جوارحي تنتظرها تكمل:

-خالد أعتقد أنه صادق ولا يكذب ..يقول أسامة عنه أشياء غريبة

كان يتكلم عنه بأريحية و لا يعلم أني أعرفه يقول إنه من مدة تغيرت حالته أصبح شاردًا هيمانًا يعيش عالمًا مستقلًا وحده ،أخبرني

أنه كان قريبًا من سعود خطيبك السابق رغم البون الشاسع بينهما في الشخصيات حينها سألته ما الفرق بينهما ؟

قال إنه لا يعرف سعود جيدًا لكنه يسمع من المخالطين لهما أن هذين أغرب شخصين ممكن أن يكونا بهذا القرب.

-لماذا ؟

-يقولون لأن سعودًا سطحي وفارغ وخالدًا عميق ..

-لماذا لم يخبرني أنه سطحي وفارغ حين كان خطيبي ؟

-ليس هذا موضوعنا ثم إن سعود انتهى اقتنعي بذلك ..

يقول بعد فترة ابتعدا ابتعادًا غريبًا مع أن الكل يتوقع أن هذه الصداقة أبدًا لن تستمر لأنها غير متكافئة ،يثني كثيرًا على شخصيته لكنه يستغرب ما حلّ به في الآونة الأخيرة .

ذات مرة كان معه واتصل به سعود قبل أن ينفصل عنه ليخبره أن الزواج من ريما تحدد وأن الوقت ضيق وبما أنه كان يثق به كثيرًا وبذوقه طلب منه تأثيث المنزل لحين عودتكما من السفر ..

أخبره بما قال سعود ووجهه كان مسودًا استأذن من الجلسة لانشغاله ومضى ..

بعد ساعة خرج أسامة ووجده يجلس في سيارته .

-ماذا يفعل ؟

-كان يبكي كالطفل وحين حاول أسامة أن يهدئه انهار تمامًا ..

بالطبع لم يخبره ما السبب ..

-يا حبيبي !

ألا يعرف الآن أين هو ؟ ألم يره في هذه الأيام ؟لم يعد يرسل لا لهاتفي ولا بريدي تعبت من قلقي عليه .

-بلى يعرف وحين استأذن مني ليذهب كان يريد زيارته .

-مريض ؟

-أجل في المستشفى منذ ثلاثة أيام كان لا يأكل ولا ينام جيدًا سبّب له ذلك بعض الضعف

-اتصلي به لعله يخبرك عن حاله بعدما رآه ..

-طبعًا مستحيل سيستغرب هذا الاهتمام !

- سيموت بسببي ..أنا سأقتله بما أفعله به.

-لست من وضع هذا في قلبه كفي عن هذا التفكير !

أخذت هاتفي بعد اضطراب حالتي واتصلت به، كان هاتفه يرن ولا أحد يرد لن يتركني بلا رد إلا إن كان متعبًا جدًّا، يا لحرقة فؤادي عليك يا خالد !

-نجلاء أتوسل إليك سأطلب منك طلبًا ولا تمنعيني ..سأذهب إليه سأزوره ..الآن !

-حتمًا جننت ! مستحيل أن تفعلي ذلك انسي الأمر!

-لا ترفضي أرجوك أعرف نفسي لن أستريح لن أهجع حتى أطمئن عليه.

-اهدئي لأول مرة أراك بهذا الشكل ..غدًا أسأل أسامة عنه.

جلست على الكرسي انثنيت على نفسي وبكيت بصوت خافت ..

نجلاء لا تتحمل حزني أبدًا وتدفع حياتها مقابل ألا تراني حزينة للحظة واحدة بعثت لي من منبع لاأعرف أصله لكنه كما أقول دائمًا ترف حباني الله به وأخاف أن أصحو على فقدانه !

طلبت من الخادمة أن تحضر عباءتها واتجهنا إلى المستشفى وهي تخبرني أن أي شيء يحصل سأكون أنا المسؤولة عنه تمام المسؤولية .. ولم أمانع !

ببساطة توصلنا لغرفته بعد سؤال الممرضات عنها، أخبرننا أنه متعب ولا يتوقعن أنه يستقبل الآن أحدًا ، لكني قلت سأحاول ومادمت وصلت فلن أتراجع أبدًا..

كانت غرفته شبه مظلمة ، إلا من نور خافت يأتي من خلف السرير، نبضي يتسارع وأنفاسي صارت ثقيلة كأني أتنفس تحت الماء. اقتربت أكثر ،كان مغمض العينين لكن سواد عينه تتحرك تحتهما ..وجهه منهك وجسده هادئ رغم ما يحمله من براكين ..

همست نجلاء في أذني أن نخرج ولا نوقظه فقد اتضح عليه التعب ..

كنت أود أن أمكث عنده عمرًا ، أنا التي أوصلته لحافة الموت ..فكيف اقتص من نفسي كي يبقى ويعيش ؟ إن لم يكن لي فلمن يحبونه ..وماذا عني أنا ألست أحبه ؟

لم أعد أدري ما هذه المشاعر المتضاربة ، أهو جنوني أو تولعي هل هذا حقيقي أم نزوة أم رحمة أم أصابني ما أصابه لا أدري ..

سأقول اسمه مرة واحدة إن ردّ عليّ وإلا سأمضي مجبرة ..

اقتربت من فراشه ومن أذنه ..وما أن كدت أهمس باسمه حتى فتح الباب ودخل أخوه المرافق معه .. ملامحه استفهامات وهو يتنقل ببصره مني لنجلاء هذا ما لم أكن أريده بتاتًا وما جعل نجلاء تغضب مني في صمت، أعلم أني أحرجتها وأحرجت نفسي لكني كنت كمن يسير بلا عقل!

أخبرنا أنه للتو نام بعد عناء ولن يتمكن من محادثتنا اليوم ،ضاعت مني الجرأة ما الذي سأقوله له ؟ من أنا؟ وماذا جئت أريد .. لمس ترددي في الكلام واضطرابي حين سأل عن اسمي ليخبره ..

- بإمكانك كتابة اسمك على ورقة أريها إياه متى استيقظ.

حاولت الكلام لكني عجزت وحين تشجعت قلت إني ربما أعود أخرى ..

سبقتني نجلاء وخرجت وتبعتها لم تتكلم حتى وصلنا داخل السيارة ..

-أنا آسفة أعلم أني أحرجتك .

كانت تنظر إلى لاشيء ويسودها الصمت، كررت اعتذاري ولم ترد بقيت لدقائق هادئة ثم انفجرت كنت أستمع بلا رد وأعلم أن كل ما تقوله صحيحًا لكن كيف أفسره وكيف أشرح وجهة نظري وأنا لا أفهمها حتى !

رغم أن كلماتها موجعة إلا أني لا أملك إلا أن أحبّ نجلاء بكل ما فيها ..

حتى لو أن مشاعري آذتها، حتى لو أنها تسمعني الآن ما لا أتحمله ستظل هي مسكن روحي ..

لا أملك أن أقول لها إن ما أفعله ليس بإرادتي أحس أن عقلي مغيب فيما يخص خالد.

قبل أن أنزل من السيارة قبلت يدها وهمست (سامحيني لن أدخلك في متاهاتي مرة أخرى).

ومضيت وأنا أعدني أن مشاكل قلبي لن أبتلي بها سوى نفسي!

أكملت الليل عند هناء جسد بلا روح ثم عدت وفي قلبي أحزان وغصة..

12

أم حمد متهللة اليوم تنشد أهازيجها وهي تمشي تترنم بصوت خافت ..

لم تطل تساؤلاتي حين بشرتني أن نخلتها التي تعتني بها منذ أمد (حملت)،

باركت لها و أحسستها أن هذا فعلًا شيء عظيم وفرحت لفرحها البريء..

في كل شيء بسيطة حتى فرحها غير مكلف !

أيام كثيرة مرت على موقفي ونجلاء ..

لكني حاولت أن أجعل الأمر عاديًا وألا أخلف جروحًا أو ندبات لأجل شيء لا يستحق !

كانت تنسق بعض أوراقها في مكتبي ، هي جدية جدًّا أثناء العمل لكن لأجلي تتنازل عن كل شيء ..

انتهت وجمعتها ثم قبل أن تغادر ألقت علي سؤالًا وعينها تخترق عيني :

-الغريب أن خالدًا لم يعاود الاتصال بك ولا محادثتك .

-................

-لم يتصل بعد المستشفى أليس كذلك ؟ لأنك لم تعودي تذكري أي خبر عنه !

-لا ،لا أدري .

توجهت مباشرة نحو الباب دون أن تريني ملامحها وقالت وهي تخرج :(أريح لك).

لم أقل لها إنني تعلقت به أكثر وأكثر وأكثر في أيام لم تعلم عنها ولا عن تفاصيلها..

لم أقل لها إنه أصبح هوائي الذي أتنفسه ،وأحلام يقظتي، والحضن الواسع الذي أرمي فيه همومي ..

لم أقل لها إن خالدًا استطاع أن ينتشلني من وحدة كادت تفتك بي

إلى عالم يسكنه هو في كل مكان ..

لم أقل لها إني حين وعدتها ألا أدخلها في معمعة مشاكلي كنت أعني ذلك ..

لم أقل لها إني أفتقد آراءها وأفتقد خوفها عليّ منه ومن غيره أن يؤذون حتى مشاعري ..

لم أقل لها إني أتمناها تنهرني لأتركه بيد أني لا أستطيع !

قتلني إحساسي القوي به وإحساسه القوي بي ..

حين أبكي أجده يسألني هل كنت تبكين ؟ مرتني صورتك تبكين في مخيلتي ..

حين أخاف يبقى قريبًا من منزلي لساعات حتى أشعر بالأمان بقربه ..

إذا انتابني الأرق يقول لي نامي حتى أنام قتلني أرقك !

يشم رائحة عطري يخبرني أنه اليوم مركز جدًّا ، وأرفع الزجاجة المركزة وأتعذب ..

ملأني جنونه لن يصدقني أحد حين أقول إن رجلًا يشم عطري وهو على بعد أميال مني ، ويسمع صوتي وأنا لا أتكلم، يقرأ أفكاري قبل أن أقولها، ويراني في وقت الحدث!

أسمع صوته يهمس بجانب أذني يهدئني.. يجعلني أكون كورقة استقرت بها الرياح في مكان ثابت فلن تتحرك بعد أبدًا..!

لم أخبرها أنه سكنني مثلما سكنته وحياة بدونه تكاد أن تكون مرة ..أو بلا روح ..

جرمي كبير يا نجلاء ستعلمين يومًا ما خبأته لكن وقتها ستعذريني كما تفعلين كل مرة ..

خلق الأصدقاء ليحتملوا جرائمنا في مشاعرهم ، كم أود أن أبكي أمامك وأعترف ليهدأ صدري وتهدأ تساؤلاتك !

أن أقول لك أني زرته في المستشفى ..

حين كان كالطير الجريح يقتله البرد والوهن والكآبة ..

أن أخبرك أنه كاد يجن إن كان الجنون كافيًا لوصفه ..

أنه بكى كالأطفال حين تحقق أنني أنا أنا!

أن مشاعري تجاهه الآن لا أدري ماهيتها لكني أسميتها حبًّا!

لم أعرف يا نجلاء أني قوية إلا حين اتخذت هذا القرار الذي سيدمرني حتمًا..

لا يمكن أن يكون اتباعي هوى نفسي قرارًا صائبًا مهما قلت !

كل ما أعرفه الآن أني طفلة تحلق في السماء في مدينة الألعاب

ولا تدري أين ستهبط ولا متى !

كفراشة ضعيفة أبحث عن الحياة والموت المحتم يمسك بي ..

....

نائلة كالعادة تأتي تخترق المكان تأخذ قهوتي من على مكتبي سواء لي أو لغيري ستشربها

وسؤالها المعتاد هل شربت منها ؟

وأيًّا كان جوابي بنعم أو لا ستشربها لا أدري لمَ تسأل إذن!

نبتسم لدخولها لأننا نعرف التفاصيل المكررة..وهي تبدي كأنها منزعجة وهي ليست كذلك .

وقبل أن تغادر لابدّ أن تقول كلمتها المعتادة (ما يهمني).

-سمعت أنكما ستسافران إلى باريس هذا الصيف؟

-تخبريني أم تسألين ؟

-محمد يقول ستكون باريس حارة هذا الصيف.

- بما أن محمدًا يقول ذلك نلغي السفرة كلها.

أخذت قهوتها ___أو لأكون أكثر دقة___ قهوتي وخرجت وهي تقول (ما يهمني).

ذهبت لنجلاء وهي منهمكة في عملها جلست بهدوء:

- نائلة كانت عندك ؟

- كيف عرفت ؟

- لأنك بلا كوب قهوتك ونحن في أول الصباح !

تكلمي يا ريما هناك شيء يوترك فقط قوليه بلا تردد نفسك مضطرب ويداك ترتعش

- ستغضبين حتمًا ..

تركت ما بيدها وأطالت النظر في وجهي:

-مؤكد أنه يتعلق بخالد؟

هززت رأسي بالإيجاب و أنا أكاد أنفجر ..

--خالد حجز على الرحلة نفسها حاولت ثنيه لكنه يقول سأموت إن ابتعدت أنفاسك عني !

اضطربت بشكل مفاجئ وجهها تهدج من الغضب وأشياء كثير لا أحصيها:

-ليته يموت وأرتاح أنا، ريما التي لا تخبئ عني أدق أدق تفاصيلها منذ أن أتى هذا الخالد وهي تخفي عني كل شيء أصبح لا يقاسمني إياك فقط بل يسحبك إلى عرينه، يحبك نعم لكنه يريد امتلاكك وأنا اعرف من هم مثله تمام المعرفة .

ارتفع صوتها قمت وأغلقت باب المكتب حتى لا يسمع أحد صارت تتكلم وهي تدمع بلا توقف:

-انتظرتك تخبريني عن زيارتك له في المستشفى أسامة رآك واستغرب وجودك لكنك لم تقولي ، تمنيت أن لا تكذبي عليّ في كل مرة أسالك هل عاد أو عدت له لكنك تكتفين بلا ، وداخلي يصرخ أخذها منك ، صار أهم مني يا ريما ؟ أهم من حياتك ؟

كانت أسئلتها أشبه بانهيارات لا أكثر.

-سيخطبني

رفعت رأسها بهدوء :

-ريما اخرجي الآن عني.

-أنا كلي خطأ أنا لا أدري كيف أعتذر منك أصبحت لا أنام فقط أفكر في جرمي معك.

لم تعد تنظر إلي ظلت صامتة إلا من صوت بكاء خفيف.

كدت أموت تلك الليلة من الحزن الذي لفّني وضرب بي قاع الأرض هرس عظامي

....

أتصل بوالدي وواعده غدًا ليتقدم رسميًّا..

أثق تمام الثقة أن أبي سيوافق عليه، كل الصفات التي يتمناها أب لابنته متوفرة فيه، شهادته وماله وعائلته التي كان يخفيها عني لأنه كان يظن أن سعودًا يخبرني عنه كثيرًا كما كان يزعم لكنه أبدًا لم يكن يأتي على ذكره ..

حتى مواصفاته الشكلية كانت مكتملة لم أجد ولا عيبًا واحدًا!

ولاشي يمكن أن يزهدني فيه ..

أرسلت لنجلاء رسالة لأني أعرف أنها لن ترد على اتصالي:

(غدًا خطبتي).

أجمع بين شعورين أحمقين، ضدان يمتزجان في صدري ويجعلانه يتمزق..

سعيدة بخالد ، وتعيسة لأجل نجلاء!

....

هو الآن في بيتنا .. أنا وحيدة في غرفتي لا يقاسمني فرحتي إلا الجدران وبعض رسائله التي يبعثها كل لحظة .. (أنت لي وحدي) ومليوني كلمة أحبك ..

سامي متهلل لم يتوقع أني أخيرًا سأرضخ وأتزوج !

أختاي مشغولتان، وأمي لا يمكن أن تأتي ..

أحتاج إلى حضن يخبرني أن المستقبل أجمل مما أنا أعيشه ..

إلى أحد يخبرني أن نجلاء لن تضيع مني وأنا أرى ..

أن يخبرني أحد أنها ستغفر لي ..

أنا التي لن أجد مثلها لو بحثت عمرين فوق عمري!

لملمت نفسي وأنا جالسة على سريري .. في انتظار ما يبدد وحشتي وتساؤلاتي

دخلت الخادمة بيدها باقة ورد بيضاء كبيرة ..

وضعتها على الطاولة وقبل أن أسألها ممن ..

دخلت روحي المقسومة!

تلك التي لا أحتمل أن ترحل دون أن تنزع روحي معها روح بدونها لا أريدها ..

دخلت تحمل صينية شوكولا عظيمة :

-خادمتكم لئيمة أخذت مني الورد الخفيف وأبقت لي هذه .

كان حالي لا يوصف كأني يتيمة بلا أم بلا أحد ..لا أحد يكزني ويعلق ولاشيء يدل على أن هناك عروسًا تكاد أن تزف مكسورة النفس..

لا أحد يعطرني ويجعلني أنتشي ويقول لي سأكون أجمل عروس لأرجل رجل ..

نجلاء تزرع الفرحة في بساتيني ولا تكل ..تأتي كثيرًا على قلبها ليهدأ قلبي ..

تنزف هي من الداخل لكنها غفرت كل شيء لأرتاح.

غريب أمر الصداقة تتحمل كل الأذى ليرتاح هو حتى لو كان هو مصدر الأذى نفسه !

حضنتها ليس حضن جسد فقط ، حضنتها أحلامي ، حضنتها سعادتي المتأرجحة وحياتي القلقة ،حضنتها آمالي المخيفة وراء مجهول لا أعرفه ..

حضنتها أشياء تخبئها لي الأيام ..لا أعرفها ولا تعرفها ..فقط نحس بها ولا نملك تفسيرًا!

تمت مراسم الخطبة أصبحت خطيبة خالد، وثمة شيء يأتي في روعي كنغمة تحذير لا أدري أين مصدرها!

13

لا أدري لم تهتم المرأة بالتفاصيل الصغيرة .. وتجعلها هي مقياس الاهتمام دائمًا ..

كان هذا مقالي الذي نزل اليوم في الجريدة ..

فمن لا يتذكر يوم ميلادها ..لا يهتم

ومن يتذكره عليه أن يتغافل عن حساب السنوات ..

عليه ألا ينسى أول لقاء لهما ..

عليه أن يهتم بعطرها الجديد الذي منذ أن وضعته وهي تنتظره يلاحظ!

عليه أن ينتبه أن الملابس التي ترتديها لا تليق إلا عليها ..

عليه أن يحيطها من كل جهة ولا يكلّ ولا يملّ ..

المرأة تحب أن ترى من يحبها مفتونًا مهووسًا بها .. ولا يرى في الكون امرأة أخرى إلا هي ..

بعد أن نزلت الجريدة بساعات اتصل خالد وأنا أتجهز للخروج ..

- بقي على يوم ميلادك خمسة أشهر ..التقيتك أول مرة في صورة ، وعلى الطبيعة رأيتك في مقر الجريدة تركبين سيارتك ..

عطرك كان ستيلا لسنوات تبدلينه كل فترة بشانيل أو بلاك أوركيد.

ثم تعودين له بكل قوة ..

تحبين أن تجعلي ملابسك تتكلم عنك ،أنت تبرزين الملابس ليست هي من تفعل !

تحملين جنون الأنثى وغرابتها ، غموضها الذي يجعل روحي متشبثة لآخر مدى

تخاف أن تفلت فتصدم بالأرض ثم تفنى ..

أنت المرأة الوحيدة في حياتي ولا أحد يستحق سواك هذا اللقب..

-خالد ...

-لا تقولي شيئًا مقالك أثارني .. فانفجرت كلماتي في أذنك صباحك أنت ..إلى اللقاء..

......

كان هذا آخر يوم لي قبل إجازتي التي سأسافر فيها مع نجلاء وسامي، سأضطر أن أعمل كثيرًا حتى أنتهي من كل مسؤولياتي ..

تغيرت حياتي .. أحس أني في الهواء دائمًا في الهواء ..

يتقن خالد العزف على أوتار مشاعري رغم أني أسكت كلما هم بالحديث عني ..

هل سيتغير كل هذا بعد أن نتزوج ؟ هل سنكون أزواجًا عاديين نأكل ونشرب ونذهب إلى العمل ونعود منه صامتين ؟

هل ستخبو ناره ؟ أم تتوقد وتزيد ؟ سأتزوجه بعد ثلاثة أشهر اعتبرها قليلة ويظنها دهورًا..

لن أستعجل شيئًا سأعيش لحظات الفرح دون أن أخلطها بهم المستقبل أريد أن أعيش فرحتي كما هي ..

في الرحلةنفسها الطائرة نفسها نتقارب بالإحساس..

بالأنفاس بالتفكير ..شاعر فنان وسيم خلاق حباني به ربي دونًا عن كل البشر سأجن حتمًا لو بقيت أفكر بكل ما يملكه !

منظره كان ملفتًا غارت عليه عيني من كل العيون شيء يجعله مقربًا إلى روحي دفء يعمني منه ولو أنه يبعد عني بمقاعد كثيرة .

لم يسكن بالفندق نفسه لكنه قريب منه .. أراه يوميًّا في كل مكان ، نجلاء لا تنعته إلا بالمجنون..

تصرفاته جنونية خارجة عن إرادته دائمًا!

الأيام الأولى كانت أشبه بحلم بل إنه الحلم ذاته ، كل شيء بيدي السعادة تلفني لفًّا وأكاد أجفل منها لأنها لا تفعل بي هكذا إلا إذا همّت بتكسير ضلوعي !

لست متشائمة لكني أخاف الفرح لأنه إذا انتزع يمزق بلا رحمة.

أخذ سامي غرفة بسريرين لي ولنجلاء وهو أخذ أخرى قريبة منا لو احتجنا شيئًا ..

نتسوق نحتسي القهوة يوميًّا في الشانزليزيه ..

أو نتناول وجبتنا هناك ..بعد الأسبوع الأول لم يعد يحتمل خالد قربه مني ولا يجلس معي ..

طلب مني أن نلتقي رفضت وحذرتني نجلاء ..

لم أعد في وعيي افتتاني به بدأ يعميني عن كل الحواجز والقوانين، كثر اختلافي مع نجلاء، مع أن الرحلة كلها كانت لأكون معها إلا أني جاءني هذا الزائر غير المتوقع سلبني بقايا عقلي.

أحيانًا نفرط بالأهم من أجل المهم ..

ونجد أنفسنا نفقد الاثنين ..

أصبحت أكتب بنهم شبح الكتابة لم يفارق رأسي ظل ملازمًا لي كل يوم، كل وقت، أحس بأني أتصرف تصرفات ليست مني ..

أكتب في كل مكان في جهازي في أوراق الفندق في مسودات هاتفي في أي ورقة تقع تحت عيني.

هل الكتابة جنون أم عقل؟

كل ما أعتقده أنها تخفف فائض اللذة التي تنتشيني، كما كانت تخفف فائض الألم قبل أن ألتقيه ..

وضعت كل كتاباتي الجديدة في مجلد تحت مسمى(بعد خالد)

وكل ما سواه أعرف أنه قبل أن أعرفه فالأكيد أنه شيء بلا روح..

هل الكتابة هي من يشعلني شوقًا له ؟

هل هي من يجعلني أحلق في زمن لا يراه سواي ؟

لم أعد أنام ..

تصحو نجلاء بين كل وقت ووقت لتجدني أنظر إلى اللاشيء، أحلم في يقظتي أهدهد أحلامي ..

وأظمأ شوقًا للأيام القادمة التي أجهلها ..تلازم الصمت وتحاور رأسها بحديث لا أسمعه بأذني بل بإحساسي..

كتبت له :

أي سقف سيحتمل أن يلتقي عاشقان تحته ..

أي سماء ستظل صامدة لا تنفجر أمطارها حين تراك تتأمل ملامحي وهي ملكك وحدك أنت ..

سأختبئ تحت ذراعيك، سأستنشق الربيع الذي يسكنك، ستكون كلماتك لي وحدي وستظل مدى الدهر لي لي .

سأكون زوجتك ولن يفوز بهذا اللقب سواي ..

سيحق لي أن أمسك بأوراق حياتي وأنثرها تحت أقدامك، أجعل ما شئت منها بارزًا وأسحق منها ما تريد !

مبادئي بدأت تتزحزح عندما بدأت أنصهر فيك ..

وجدتك تسكن في كل قارعة من جسدي، وكل زاوية من ذهني وتقبع بكل قوة في تفكيري.

كيف استطعت وأنا التي أخبرت كل من أعرفه أن العشق صار محرمًا على قلبي ..

كسرت وعودي، وأتقنت جعلي أخرق قوانيني وأنا أتلذذ في تدميرها ..

وأمارس جنوني معك ..وسأظل أعيشني مجنونة بقربك ..وأستمد من جنونك ليعزز جنوني !

انتهيت وبكيت ..

تساءلت نجلاء من خلف فراشها بصمت عن سبب بكائي المستغرب ..

قلت لها بكل هدوء ونبرة البكاء تفسد صوتي :

رغم أنه نجح في أن أعشقه ، إلا أني أرى بقعة سوداء تخيفني منه في كل مرة وأتجاهلها !

مستمتعة أن مثل هذا سيربطني به ميثاق قوي، لكن كيف أجعل هذه البقعة السوداء تضمحل وتتركني أعيش فرحتي كما هي ؟!

-كلنا نخاف المستقبل يا ريما ..

-هذا ليس مستقبلًا إنه كبؤرة مختفية كيف أصفها لك؟ كأني في سكة حديد آخرها لا يرى ...

كأني في أرجوحة أحد حلقاتها منفصلة..كأني أمر تحت بناية عالية أحد أدوراها يسقط ويسحقني .

ارتبكت قليلا وحاولت طرد أفكاري السوداوية

-ريما ستكونين سعيدة معه أو مع غيره ، لا تحسين بالراحة اتركيه !

-أتعلمين .. طريقة حبه لي نادرة وأنا أحتاج لهذا الحب يروي عطش أيامي يشبع روحي لحدّ الاكتفاء .

-تعالي إذن نامي ولا تفكري بالأشياء السيئة ستكونين أشد الإناث ترفًا على وجه الأرض ..

أمسكت بي إلى فراشي وغطتني وملامحها كلها خوف مما قلت فحاستي السادسة لا تخطئ أبدًا !

14

أوه .. يوم آخر أحلم بالثعبان ..

ثعبان عظيمة أحاول أن أسيطر عليها بيدي كلتيهما .. لكنها كانت أشد مرونة ..

لا تستطيع عضي لأني أمسكت جيدًا بفكيها لكنها تحاول ..

وتحاول أن تخدشني بطرف أنيابها .. مخيف مخيف شعوري وقتها ..

كنت أطلب المساعدة أتمنى أن يقضي عليها أحد !

ترى من أنت أيتها الثعبان؟

هل أنت هواجسي ؟ هل أنت حقيقة لا أعرفها ؟

معجزة هذه الأحلام تحذرك من شيء لا تعرفه وتبشرك بأشياء لم تأت بعد !

في الدور الخامس في الفندق مطعم هادئ، أنواره خافتة ..

دعاني له وقبلت دعوته بلا تردد ..

وقبل أن أذهب مانعت نجلاء وبشدة

-لن تذهبي معه إلا إن كنت برفقتك !

-لست صغيرة ثم أنا في مطعم ممتلئ لست في غرفة نومه .

-فكري في سامي لو رآك لو علم بطريقة أو أخرى ماذا سيحدث؟

- لن يعرف إلا إن أخبرتِه وأنت لن تفعلي

-أصبحت عنيدة لست ريما التي أعرفها !

-حتى أنا لم أعد أعرفني كل شيء فيّ تغير ..دعيني أفعل ما أريد حتى أهدأ..

-لن تذهبي وسأخبر سامي إن جلست معه.

- دعي عنك هذه الغيرة الحمقاء أتودين أن تفسدي علاقتي به؟

هذا خطيبي وليس رجلًا من الشارع ..

تكاد أن تكون كلماتي دبابيس قصدت عروق قلبها مباشرة لم تكن تستوعب ما أقول كانت تنفض رأسها لتصدق أني أنا من كنت أمامها ..

كعادتها آثرت الصمت كلامي المسموم كاد أن يفتك بأغلى قلب احتضنني.

كان ما يحركني عاطفتي له، تركت كل شيء وذهبت، خلفت ورائي جسدًا ينتفض من آثار تجريحي فيه ولم أبالِ !

جلسنا في المطعم كأننا نحلق فوق السماء لا أحد يرى شيئًا سوى حبيبه..

-تصدقين ؟ تأتيني لحظات أفكر فيها بأفكار تجعلني لا أنام إلا حين أستمع صوتك وأتأكد أنك لي ولازلت ..أفكر لو أخذك مني رجل آخر كيف سأكون ؟

هل الموت يشبه ما أحس به ؟

أغار عليك من كل شيء من جسدك من سلسلة معلقة على رقبتك ..

من رائحة عطرك ،حتى حمرة شفتك ..

كيف أنجو من حبك ؟ كيف أكون إنسانًا عاديًّا وأملك قلبًا عاديًا أعيش حياتي كما هي.

شربت من كأسي الذي تعلق فيه شريحة من برتقال وسألته بهدوء وابتسامة ذائبة..

-لماذا أحببتني ؟

-سلي روحي هي من فعلت بلا استئذان !

كانت يداه ترتجف وكأنه لا يصدق الزمان ولا المكان ..

لا يستوعب هذا الترف الذي يحيط به.

هو على قائمة الربح وأنا على قائمة الخسارة !

جمعت نجلاء أغراضها وقررت العودة ..

تعللت بابنتها وجزمت أن العودة من أجلها فقط !

أي الناس أنت ؟

حتى وبعد فعلتي لم تقل لي إني أسوأ صديقة ممكن أن تكون لها!

استمت وبكيت أن تبقى لكنها أجلت يومين فقط وقررت أن يكون بعدها الرحيل ..

يلفني الضعف يا غالية أحتاج لحضنك يقويني وينصرني على جموحي

لا تبتعدي سأضيع أكثر ..

سأنشد لك ترانيم قبل نومي وأخبرك حين أعزف على أوتار شرياني

ألا حياة تقارن بحياتي معك ..

و لا أحد سينزعني من خارطتك لو تركت الحياة كلها لأمكث في هذه الخارطة..

أعلم أني أطير في سرب خاص بي ..

سرب يسوقني إلى جزيرة مهجورة لن يعيش فيها سواي

في ظل المتعة المؤقتة نفقد عقولنا التي تدلنا على الطرق الافتراضية ..

ونتبع من نعرف تمامًا أنه يدلنا طريقًا قاحلًا أو موحشًا أو مجهول النهاية!

في يومي التالي تكرر اللقاءنفسه لكنها لم تعارضني ولم تنبس بكلمة بل انطوت على كتاب كانت تقرأه، وتركت لي قراراتي وعواقبها ..

نجلاء تحب القراءة في بهو الفندق تسبح في فضاء لا حدود له بشر لا تعرفهم لا يعرفونها، تحتسي معهم أحرفًا وكلمات لا يقرؤونها بل هي فقط !

أعرف عزلتها هذه لا تفعلها إلا حين تكون على مشارف الاكتئاب، أنا من ساعد الاكتئاب أن ينمو في جنباتها لكني لا أستطيع مقاومة خالد !

وفي اليوم الثالث لم نتقابل بل ظل يطاردني كعادته ..

جلست ونجلاء على طاولة صغيرة تكفي لكوبي قهوة وقطعة البراونيز خاصتها

كان المنظر محفزًا على التحليق ..إلى احتضان السحب والدوران حول الأرض ..

الأجواء الباريسية العبقة المناظر التي تحيط بك في كل مكان ازدحام الناس أحيانًا يكون له لذة في السفر بعض المدن وهي فارغة لا تشتهى..

فأنا لا أتخيل القاهرة بلا صخب سأظن أنها ليست هي بتاتًا !

ولا أتخيل جنيف مكتظة فستفقد بريقها حتمًا ..

تكلمنا عن كل شيء ..

إلا أن ثمة ما يزعج نجلاء ولم تتكلم عنه لكني لمحته في عينيها..

كان يجلس في قهوة مجاورة بمفرده كالعادة بين صحيفته وبين هاتفه وبين تأملاته ..

ملابسه كانت كلها سوداء أكسبته سحرًا فوق سحره ..

تقف عليه عيني نجلاء لثوان ثم تبعدها دون أن تتكلم ..

-يضايقك وجوده؟

-وما أهمية إحساسي؟ اشربي قهوتك أحس باختناق !

-لن نكمل سنغير المكان سنذهب مكانًا آخر لا يرانا فيه ..

-سيتبعك لا تحاولي تغيير نظامه ..

-بلى سنعود للفندق لا يستطيع هناك أن يتبعنا إلى داخل الغرفة..

ابتسمت ابتسامة خفيفة فمنذ مدة وأنا أبدي اهتمامي به أكثر منها بمراحل ..

اقترب أحدهم وهو ينظر لي ولنجلاء ..

صحفي سابق والآن توجه لكتبه ومؤلفاته سبق أن أجرت معه نجلاء مقابلة ..

اقترب وألقى السلام .. ودون أن يسأل سحب كرسيًا وجلس يتحدث ..

عن الصحافة عن همومها عن مشاكلها عن توجهه للكتابة المستقلة ..

عن مشاكل بعض دور النشر ..

كان كل حوارنا لا يتعدى هذه المواضيع فقط هي ولا غير ..

بكل جنون جاء خالد ليقف أمامه وفي عينه نظرة شر قرأتها من أول وهلة!

أشار إليه وهو ينظر إليّ :

-من هذا ؟

-صحفي وكاتب هذا الأستاذ....

لم يدعني أكمل كلامي يعلوني الحرج من طريقته وأسلوبه !

-تفضل لو سمحت.

-ومن أنت ؟

-أنا خطيب ريما .. ولا أسمح لرجل غريب أن يحادث زوجتي ..!

ابتسم في استهزاء وهو يقول:

-خطيبها وزوجتك ؟

أمسكه خالد بتلابيبه حتى أوقفه .. بنيته القوية تساعده على ذلك في نيته أن يضربه وهذا ما لا أتخيل أن يحدث أمامي أبدًا أبدًا !

اقتربت منه وأنا أحاول أن أهدئه ..

-خالد كان يناقشنا عن العمل فحسب! اترك الرجل.

وما إن حاولت أن أخلص الرجل من يد خالد حتى أمسك بي ودفعني بلاشعور على الطاولات المستديرة ومنها إلى الكراسي الخشبية التي ارتطمت بها قبل أن أسقط على الأرض !

بدفعة واحدة كاد أن ينهي حياتي .. منظر لا أحسد عليه !

شج رأسي وامتلأ أنفي وفمي دمًا..

الناس يتجمعون، إيشاربي يقع وشعري ينتثر ويمتلئ بالدم ..

أصبحت عرضًا مسرحيًّا بلا تكلفة دخول ..

تجمع رجال الأمن أخرجوا المجنون من المقهى وهو في وضع هستيري ..

نجلاء تشتمه وهي تمسك بي وكأنه لم يكن يتبقى له إلا أن يقوم بما قام به لتكرهه أكثر!

أكواب القهوة المتكسرة جرحت كفي .. بكيت وبكيت و بكيت ليس من الألم فقط ..

بل على أن مصدر أماني كان هو من عليّ أن أخافه!

15

يا لبشاعة ما أحسّ به !

حواسي كلها تريده لكن خوفي يحاربني، يخبرني خوفي أنه سيكون أخطر من ذلك لو تزوجته..

ستقلبه غيرته إلى مفترس وسيمسك بحريتي ويسجنها .

الجرح الذي في رأسي سيذكرني به أبد الدهر

لن يكون لي إلا ألمًا في كل مرة !

لكنه موقف واحد، هكذا أسلي نفسي وأهدئها كلما ثارت واحد موقف واحد !

أتسول رضا نفسي عنه ..

أرى الراحة تحزم حقائبها لتهرب مني وأنا بحاجتها ..

رأيتك شخصًا آخرَ لم أكن أعرفه أبدًا..

لغتك كانت ليست لغتك.. وحروفك ليست لك ..

حتى الوجه الذي كنت به أمامي لم أكد أعرفه ..

لم أعي أيكم الحقيقة ..!

كنت البارحة مخيفًا، ألقيتني في قلب العاصفة ..

نزعت بلا رحمة دمعتي من محاجرها.

جعلتني أنوح وقبل ذاك أرتعد ..

انهرت أمام نفسي .. التي لم تجد أمانك ..

كأني نفيت من مسكني .. بت بلا دار ، ولا فرش ولا حتى أمان !

لا زلت خائفة ..

....

عدت إلى منزلي محملة بالخيبة ، عدت قبل انتهاء زمن الرحلة الحلم،

الرحلة التي طالما تمنيت أن أخوضها حتى نجلاء لم تكن أقل مني !

نسجت الخيبات في رداء واحد وألبسناه روحينا ..

أجلت موعد عقد القران أكثر من مرة ، لم يعلم أحد عن فعلته وظنوا أن ما جرى لي مجرد حادثة ..

مترددة بين الرغبة وبين العقل لو كنت أضمن مستقبله معي لما تملكتني هذه الحيرة !

سأترك المسألة للوقت حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا !

غبية أنا لو ارتبطت بمن لا يتحكم في انفعالاته حتى لو كانت غيرة عليّ..

سيجن من جفائي .. وستجن نجلاء من سلبيتي ..

وسأجنّ أنا من قلبي الذي غفر له كل شيء ..كل شيء !!

عدت إليه بعدما اعتذر مني مئات المرات ، وألقى بكل ما يسمى كرامة تحت قدمي

عدت إليه لفرط حبي للإحساس الذي أعيشه معه والذي لا أجده مع أيٍّ كان من البشر!

هذا السحر الذي يمارسه الرجل على المرأة فتنسى كل مصائبه وكل أخطائه بلمح البصر !

ازدادت غيرته ولكني أبدًا لم أهتم بل كنت أستلذ ..

يحذرنني بأنها شيء فوق العادة وأنا أخبرهن بأن حبه هو الخارق للعادة !

وفي منطقة اللاوعي التي أعيشها معه تحدد موعد زفافي واقترب ..

أعيش كل حلم قد يطرأ على عقل بشر ..رجل بكل المواصفات التي أتمناها وحتى التي ظننتها بعيدة أن تصلني ..في يدي بيني وبينه شهر واحد وعقد وأكون له ويكون لي ..

حياة الملوك اقتربت، حياة العاشقين دنت، حياة الجنون تفصل بيني وبينها ثلاثون يومًا فقط !

أهملت نجلاء كل شيء لتساعدني في يومي .. رغم اعتراضها على الشخص إلا أنها ترى الفرحة في طرف عيني فتنسى ..

....

أختاي تمتلئان بالبهجة، أمي تفتخر لأنه ابن الذوات وليس لأني ابنتها سأتزوج !

سامي رغم أني سأبتعد عنه إلا أنه يأمل لي حياة أسعد مما مضت.

أمه هو تكاد أن تقبل رأسي فرحة بأني رددت ابنها إليها معافى !

أخبرني أن سعودًا كاد أن يسحقه حين علم أنه خطبني ..

واشتعلت النيران في قلبه لأنه سيحصل على ما لم يستطع أن يحصل عليه !

« الشيء الذي لن تناله ثمرة شهية .. وأمنية أبدية ..»

رغم أني أمتلك ذكرى سيئة حين افترقت أنا وسعود إلا أني تناسيت كل شيء في حضرة خالد.

كل شيء حولي ينطق ويغني ويتمم بخالد !

على طريق البياض لازلت ولكني حتمًا سألمح السواد المقبل !

16

كل التفاصيل اتفقنا عليها ..الأثاث ألوانه مواقعه ، ملابسه عطوره ملابسي ومجوهراتي.

رجل صار لا يضحك إلا من قلبه أرى كل ملامحه تتفاعل.

له قلب طفل ولي قلب مئة أم !

....

أخبرتني أم حمد ذات يوم في جلسة هادئة أن بعض الأشياء تصل قمتها في المثالية وما إن نمتلئ بها حتى تتفتق العفونة فيها مع كل جانب !

وطبقت هذه النظرية على زريعاتها وعلى محاصيلها الصغيرة..

هي ترش على مسامعي الحكمة رشًا لكني أظن أني أنا الوحيدة التي تفهم أما الآخرون لم يصلوا لما توصلت له !

التشاؤم الذي يعتريني لا أدري هل هو عارض؟ هل هو معجون في طبيعتي لا أدري ..!

(إما الصحافة وإما أنا !)

كلمة مجنونة أطلقها ذات مساء وهو أقرب إلى المدمنين في احتزازهم..

هم يقتلهم المخدر وهو تقتله الغيرة !

-لا تقارن بينك وبين وظيفتي أنت شيء وهي شيء مختلف تمامًا..

-قلت لك ستتركين وظيفتك يا شفافتي .

-أنت تمزح ؟ صح؟

-سألغي كل شيء إن لم تتركيها ..

-لن أتركها ..قبل أن تكون وظيفتي هي أمنيتي المحققة وطموحي وحياتي..

-لأنها ملأى بالرجال !

-مجنون !

أغلقت الهاتف وأنا متقززة من أسلوبه من طلبه من كل شيء يقوله وظل يعاود الاتصال لمدة طويلة حتى أجبت وقد بلغ مني الغضب كل مأخذ..

-قلت لك سألغي كل شي إن لم تتركيها ..

-ألغ كل شيء لا يهم.

-تفرطين في حبي لك من أجل وظيفتك ؟

-كل الدنيا لا توازيها !

غضب جدًّا كان كبركان ثائر، أعلم ما يدور برأسه يظن أني متعلقة بأحدهم ..

يظن أن كل الرجال يتربصون بي ويريدوني أكون لهم وحدهم ..

هذا بحد ذاته أشبه بمرض !

اتصل بأبي وطلب منه الطلب ذاته لم يكن من والدي إلا أن استهجن طلبه

وقال لن أحرمها من شيء هي تريده مهما كلف الأمر !

قاطعني لأحترق .. واحترقت..

لم يقل لي هل سيلغي فعلًا أم أنها كانت لحظة تهديد فحسب!

كلنا في حيرة وضع عائلتي في موقف محرج ومهين.

نجلاء تردد :

(والله ما ارتحت له !)

بعد أيام جاء وطلب مقابلتي ..

ترددت ثم قررت أن أضع حدًّا ..

كان جالسًا بهدوء وما إن رآني حتى امتلأت عيناه حياة !

-أين أنت الأيام الماضية ؟

-وأين السلام بين العشاق ؟

أمسك بيدي وقال كنت أفكر وأحاول أن أهدأ..

-وهل فكرت وهدأت ؟

-بل قررت ..

قررت أن أتزوجك مهما كلف الثمن وبعد الزواج أنا من سيدير الدفة ..

-هل هذه عبودية ؟

-لا لكن أنت لي وحدي ولن أسمح لأي شيءأن يأخذك مني .. بعد أن تكوني لي

لن أنتظر من أحد قرارًا ولا رأيًا ..

-أريد أن أفهم أكثر ..

أعطاني كأس ماء وقال وهو يمسح على شعري:

ستتركين كل شيء وتعيشين لي

- لكني لم أخلق لأكون جارية لك !

إن أنا فرطت بحقوقي الأساسية ستدوسني وأنا لا أعرف سوى الأفق !

-لا تفكري بشيء الآن دعينا نتزوج ولكل شيء وقت وأوان يا حبيبة الروح ..

خرج بعدما ملأ سمعي وبقية جوارحي حبًّا لا يتكرر..

لكن القلب ينزّ جرحه فأنا إما أن أتقبل أن أكون خاضعة وأنا لست كذلك أبدًا..

أو أكون على طبيعتي ..

كافحت وناضلت حتى وصلت ما وصلت إليه أتنازل عنه لأجل من؟

لأجل هذا الذي زجّني ذات يوم حتى كدت أفقد حياتي؟ بعدما فقدت كرامتي ؟

على هذا الذي يسربلني بكلمات الحب لكنه يريد سجني في قفصه ..

يميت هواياتي ويغفل هويتي ..

(من يحبك يا ريما يتمنى سعادتك لا سعادته!)

كلمة أبي تدور في أذني طوال نهاري وليلي ..

أنا أثق أن حبه تعدى المئة بالمئة لكن هناك حب امتلاك جعله كله شوائب !

(اتركيه)

كلمة واحدة قالتها نجلاء حين أخبرتها بتفكيره وخططه ..

(لكنه لن يتركني !)

وهذا أكبر ما يخيفني منه ..

علقت به ..كأنه ربط في جسدي متفجرات إن ابتعدت عنه سيفعلها ..

قال لي ذات يوم :

(لو لم تكوني لي فلن تكوني أبدًا لغيري!)

ضحكت وقتها وقلت كيف ؟

حتى لو لم تكتبي لي فلا تتجرئي أن تكوني لغيري ..

كان لا يمزح لكني حاولت أن يكون الحوار كالمزح حتى لا أزداد خوفًا منه!

كان إذا رآني يضغط على أسنانه يسميني تفاحتي..

كان يشتري كل حاجياتي الأساسية دون أن أطلبها .. يضعها في سيارتي أو يرسلها للبيت..

يرسل لي كل ما أشتهيه قبل أن أفكر فيه ..

إن استفسرت عن كتاب أو جهاز أجده في الغد مغلف بجانبي.

باذخ في دلاله ..مجنون في مواقفه ..

سأفتقد أشياء كثيرة لو تركته لكن لو فقدت حريتي ستكون كلها

هباء منثورًا!

استشرتهم...

بعض الاستشارات كاستشارة نجلاء صارمة وقوية وبعضها تترك لي الخيار

مع بعض الحقيقة ..كأبي ..

في الليل أقضي وقتي بين استخارة ودعاء ..

دموع متلاحقة عن مصيري الذي هو الآن باختياري قبل أن يكون بقبضته ..

نجلاء تقول إن أخاها يخاف من عاقبة زواجي به، يقول إن حبه غير سوي ..

شككت أن نجلاء افتعلت هذا الحوار لكني استعذت ..

حتى ثقتي بالناس بدأت تتزعزع !

كيف أرفضه ورائحته تسكن أنفاسي ..

وروحه تملأ روحي ..

كيف أقول له وداعًا وأنا لا أعنيها ..

لا ، سأستمر معه مهما كان وأيًّا كانت النتيجة حتى تتوب نفسي منه ..

فإما أن أخسرني أو أخسره !

17

على مائدة العشاء روحي لم تكن موجودة فقط جسد ..

انتبهت لي هناء وحاولت لفت انتباهي ومناقشتي عما يجول بخاطري.

قلت لها إني أفكر مرات كثيرة في أن ألغي هذا الزواج ومرات لا أودّ أن يحجبه شيء عني ..

لم تفهمني ..

أعطتني محاضرة مطولة عن أن الرجال من نوع خالد منقرضون، وأن الفرص تأتي مرة واحدة، وأن الخوف قبل الزواج شيء وارد والكل يمر به ..

وأني يجب أن أخوض هذه التجربة فلا ندري عما يخبئه لنا الغيب ..

وأن أبي لن يبقى لي وسأظل وحيدة بلا أم ولا زوج ولا أب في حال فقدته لا سمح الله ..

لم أناقشها فأنا أهيم في واد غير واديها ..

ولا يجدي أن أقنعها فبعض المبادئ متأصلة في العروق لا يحركها أي بشر ..

ابتسمت وأنا أدعو في سري لمن يعلم السر وأخفى !

دقائق وأقبلت الخادمة بمغلف صغير وقالت إنه من خالد ..

كانت ساعة ألماس عندما سرنا معًا وقفت لبرهة أنظر إليها فلم يرد أن أتمنى شيئًا ولا أجده ..

بالرغم أني لم أتفوه بإعجابي بها ولا أني أود شراءها .. كتب عليها

«لأن عينيك لا تقع إلا على الجمال تتبعك الأشياء الجميلة يا حلوتي «.

أطالت النظر هناء في ملامحي ثم قالت بحسرة:

لم يفعلها زوجي يومًا ولن يفعلها

أنت أغبى امرأة لو فكرت مجرد التفكير بتركه !

....

منذ أن علم سعود بخطبتي وهو لا ينفك يتصل بي.

دهشت في البداية لكني لم أحاول الرد عليه، هو ميت بالنسبة لي وكل ما يجره لي سيكون وهمًا ..

حين نفارق أشخاصًا كانوا لنا حياة أخرى وهجرونا بمقصد

منهم، يخلفون بعد عناء طويل في صدورنا طعمًا يشبه الموت حين نذكر أسماءهم لم أصل إلى مرحلة الموت هذه إلا بعد عناء ..

فصار اسمه مظللًا وصوته غير مفهوم وكلماته غير مرئية

ميت يا سعود فلا تحاول !

دعاني خالد على العشاء بعد انتهائنا من التبضع ..

ورغم الضيق الذي شعرت به أثناء جولتنا إلا أني لم أبد أي تذمر أو انزعاج ..

كان يهتم لنظرات الناس من حولي، يظن أن الناس لم يأتوا مثلنا للتبضع بل ليشاهدوني فقط !

يطيل النظر في عيني المحاسب ليرى اتجاه بصره ويدقق في تصرفات هذا وذاك

هل هي مقصودة أم لا ..

شعور يثير الضيق لم يستمتع بوقته معي جلّ وقته كان (بودي غارد) لا أكثر!

قصدنا مطعمًا هادئًا يقدم الأكلات الإيطالية في جو يطرد السأم أيًّا كان مستواه .

مكثت بلا حديث أتأمل الجو من حولي واستمع لخرير نوافير الماء وموسيقى خافتة ..

قطعه صوت خالد يهمس بحب :

-انتهينا من أغلب الحاجيات حبيبتي ؟

-تقريبًا نعم.

- لا أدري ما الذي سأفعله أشعر أني سأجنّ قبل أن يحين موعدنا.

ابتسمت فقط وأكمل دائرة الحديث ..وعيناه تلمع بفرح ..

شيء من ضرب الخيال .. أغلب قصص الحب العربية لا تنتهي بالزواج

إلا قصتي معك أتشعرين بما أشعر ؟

استجمعت قواي وقررت أن أفاتحه بما يقلقني، بعض الفرص تأتي مرة واحدة ثم تموت، وبعضها لا تأتي أبدًا فما دمت في نعمة وصولها إلي سأفعل !

-خالد

-روح خالد وقلبه وظمؤه وارتواؤه.

صاحت بي نفسي :

لا أظن بعد هذه الحروف كلمات وداع ياريما فاصمتي ! اصمتي !

انتظرت يومين أكثر ..

ألقيت له رسالة في حضن الريح رسالة لم تستغرق سوى ثانية

لإرسالها لكنها تعني عمرًا تعني مصيرًا تعني عذابًا ..

أخبرته أننا لن نستمر ، أمنياتي تختلف عن متطلباته، والحب وحده لايكفي !

أقفلت الهاتف واحتضنت شعورًا لا هو موت فأخضع ولا حياة فأنتشي شعور يشبه الاحتضار لكنه لا يميت !

جاء ينتحب ، دخل في قلب منزلنا كالمطعون الذي تنازع روحه ..

حاول أن يصعد إلى غرفتي لكن سامي أبعده و أجلسه على أحد الكراسي حتى يهدأ ..

لم أنتظر لأرى التفاصيل كانت شيئًا فوق المعتاد

فوق خيال كل أنثى تحلم أن يعشقها رجل يومًا !

بالرغم من فرحة نجلاء المختبئة...

بالرغم من حزن اعتلى وجه عائلتي...

بالرغم من الوجع الذي استوطن ولم أعرف كيف يقتلع...

بالرغم أني مقتنعة أني أجهزت على روح لتحيا أنانيتي ..

إلا أني أشعر بالوحدة والشوق الذي يفتقني ..

أشعر أنه في وجه كل رجل ..

وأفتقد كل أحاديثه وهمساته، مزحاته واعترافاته ..

أحتاج إليه شيء يفوق الحاجة، أجننت حين فرطت به ؟

أنهيت حياتي بأحرف لا أدري أهي في مكانها أم أني عبثت فحسب.

أتقلب في فراشي على جمر ، تكويني الوحدة ويكويني البعد ..

انهرت مرات عديدة وحدي لم أسمح حتى لنجلاء أن تقاسمني هذه المشاعر المميتة

أخفيت عنهم كلهم ما يغتالني كل يوم وحين أشارف على الانتهاء أعود للحياة التي لم أفارقها ..

كنت أمسك بهاتفي وأحضنه ..

كان هنا مرتع صوته .. وهنا كانت صوره ..

هنا كانت كل ذكرياتي التي لن تعود ولا مع آخر!

حين يغتالك الحزن من أجل من تحبه فلا أحد يستطيع أن يواسيك أو يهدئك إلا هو!

تركته قبل أن تتوب نفسي منه .. فظلت عليلة لم تشف ..!

18

على بعد عدة أحياء كان يسكن خالد ..

لم يمت لبعدي ، ولم يمرض ..بل أصبح صامتًا لايتكلم برغبته لا لمرض أصابه ..

كذلك أخبرتني والدته وهي تصف حالته وهي تتمنى عودتي إليه..

يأكل ربع أكله المعتاد يخرج لعمله ولا يعود إلا متأخرًا ..

يقبع في غرفته حتى نهار اليوم التالي ..

ولا يتكلم ل اينطق إلا بالكلمات الأساسية المختصرة نعم ،لا، ربما .. تخبرني أنها تسمع صوت حزنه في الفجر ..

وترى عينيه في الصباح حمراوين ..

لاينظر في عين أحد ، ولا يلتفت لنداء أحد و لو ذكروا اسمي عنده ..

لم يتحرك في ملامحه شيء في عداد المفقودين رغم وجوده .

لم يعد يراسلني ..

ولايتصل بي..

ولايبحث عني..

ولايقف عند بابي ..

اتصلت بسامي ذات ليلة وأنا لم يتوقف بكائي كالعادة بل استمر واستمر واستمر..

وحين جاءني لاهثًا ..أخبرته أني أريد خالدًا حتى لو حبسني في غرفة..

حتى لو قتلني ضربًا ..

أحتاج حبه أحتاجه في حياتي !

جاء بطبيب لي أعطاني أدوية تهدئني ..

وجاءت سعاد تجلس بجانبي يومًا وهناء في اليوم التالي ..

نصائح ميتة يلقونها على مسامعي أخبرتهم أني أحتاج الصمت فقط إن كن يردن مواساتي وحين جاءت نجلاء سألتها إن كانت سعيدة بموتنا ؟ كما كانت سعيدة بتفرقنا ؟

كنت أجرح بلا شعور

لكنها تراعيني وتراعي حالتي ..وتبتسم ثم تضغط على يدي وتحكي لي أجمل الحكايا

بعد أشهر بدأت بالتحسن .. تحسن ظاهري لكن قلبي موجوع

موجوع !

(لا تقتل من يحبك لأنه فقط أحبك)

اتصل بي صحفي في الجريدة نفسها التي أعمل بها ..

كنت أظنه يريد أن يناقشني في العمل أو يريد مني أوراقًا معينة.

فاجأني أنه يستشيرني هل سأوافق لو تقدم لخطبتي ..

كان الخبر عظيمًا، فتح لي ذكرياتي مع خالد كالطوفان، لم أقو على صد مياهه ولا انجرافه ..

أخبرته بشرود أني سأفكر وأخبره قريبًا .

هل هذا الرجل تجربة عذاب ثالثة ؟

كل الخطاب أقول لهم لا منذ البداية إلا سعود وخالد وهذا.

هل أوافق حتى أتخلص مما أنا فيه، هو جيد كرجل لكنه ليس كخالد لا أحد يشبه خالدًا في عيني حتى لو مررت على وجوه كل الرجال وقلوبهم..

لماذا تركتِه إذن؟ هكذا نفسي تعاتبني دائمًا وأحس بحسرة مميتة ..

أرسلت نجلاء أسامة ليسأل عنه جيدًا قبل أن أوافق.

أخبرني أن الكل يثني عليه لكن ما في الغيب لايعلمه إلا عالم الغيب ..

لم يعد يهم سأتزوج أيًّا كان لأنتهي من هذا الصراع ومن هذا التفكير

أشتهي أن تحضنني سماء وتزرعني في غيماتها تسقيني مطرًا كلما ظمئت،

تغنيني عن كل البشر، تمسح كل ما في نفسي وتعيدني إلى الأرض جديدة بلا تجارب بلا هموم بلا خالد وذكرياته ..

هذه المرة لن ألتفت لشيء سأتزوجه ربما لأنه في نفس مجالي سيتفهم وضعي جيدًا ..

وبكل صراحة مع نفسي تعبت من الوضع الذي أعيشه ..

تقدم رسميًّا وتمت الموافقة وانتشر الخبر ليصل مداه إلى خالد..

و آآآآه منه .

حين رأيت أرقامه على شاشة هاتفي أصابني ذعر بلهفة بفرح بخوف بشوق ..

شعور ممتزج لا أعرف ما هو.

-أهذا من تركتني لأجله؟

-لا أعرفه قبلك ولا بعدك تقدم رسميًّا ووافقت لا شيء أكثر.

-لن تتزوجيه أنت لي وإن لم فلن تكوني لغيري قلت لك ذلك مرارًا لكنك لا تفهمين جيدًا

-.................

نبرة الهدوء في صوته كانت مخيفة ربطت لساني حتى عن الكلام.

-لاتجهدي نفسك لن تهنئي به فاتركيه من الآن كما فعلت بي .

أغلق الهاتف وأمات فيّ ملايين الخلايا !

ذهبت لنجلاء وأخبرتها وطمأنتني بأنه مجرد تهديد ولا يستطيع فعل شيء آخر هناك أنظمة وقوانين لسنا في غابة .

-نبرته مخيفة يا نجلاء سيفعل شيئًا.

-لن يفعل هاتي رقمك وسأعطيك بدلًا منه، غيرّي كل المجالات التي يستطيع أن يتصل فيها بك .

-لازلت أحمل له مكانًا يا نجلاء.

-حتى لو أنك تحملين له مكانًا الآن سينتهي كل شيء.

أخذت نجلاء شريحتي حتى لا أضعف واعيدها لكنها لم تخبرني أنها وضعتها في هاتف آخر.

وكانت تستقبل رسائلة المجنونة في كل وقت فاعتراها الخوف مثلما اعتراني !

....

ذات صباح دخلت مكتبي وإذا بنائلة تجلس عليه ..

وحين أقبلت ابتسمت وهي ترحب :

-أهلا بالعروس للمرة الثالثة.

-لا تشمتي يا نائلة لسنا من يختار أقداره.

تغيّر وجهها ومسحت على رأسي:

-كنت أمزح فحسب.

-ما هذه الرشاقة يانائلة ؟

ابتسمت على استحياء وهي تقول :

-محمد يريدني هكذا.!

-لو مات محمد ستموتين خلفه ؟

دخلت نجلاء وهي تضحك وتردد : محمد صديقنا في العمل لكن براتب نائلة

أخذت كوبي كالعادة وهي تمثل الغضب وخرجت .

-جهزت كل شيء فستانك غدًا يجهز بروفة واحدة وتكونين أجمل عروس بالكون.

-لا أدري كيف كنت سأحيا بدونك.

-اتركي هذا الكلام هل اتصل بك العريس؟

-يتصل لكني لا أعيره اهتمامًا إنه ممل جدًّا.

-للمرة الألف أقولها لك لتسعدي لا تقارني.

-لا يشبه خالدًا أبدًا لا في صوته ولا شكله ولا شخصيته ولا حبه.

وحين امتلأت عيناي قبلت جبيني وضغطت على يدي وذهبت إلى مكتبها ، جلست وقتًا طويلًا أتذكره، أتخيله أعيشه حتى تنفرج أسارير قلبي وأهدأ.

لم أعد أفرح كفاية .. أنا من قتلت فرحي لأجل سخافات لا أدري أين منبتها ، لكن حريتي ليست سخافات،لا أدري أنا مشتتة بين عاطفتي وعقلي أحدهما سيسقطني صريعته ..

نجلاء تعيش حالة قلق من جراء الرسائل التي تقرؤها من خالد وتحاول إخفاء قلقها لكنه أقوى منها ، جهزت لي ملابسي ومكياجاتي وعطوري وكل مايتعلق بي يا إلهي هذه النجلاء !

19

اليوم يوم زفافي ، غدًا سأسافر مباشرة إلى إيطاليا، صحوت منهكة من الأفكار التي انتابتني في الليلة التي قبلها وجدت رسالة على إيميلي الشخصي من خالد قصيدة نزار أحبك جدًّا ولاشيء غيرها..

أحبك جدًّا

أحبك جدًّا

وأعرف أن الطريق إلى المستحيل طويل

وأعرف أنك ست النساء

وليس لدي بديل

وأعرف أن زمان الحنين انتهى

ومات الكلام الجميل

لست النساء ماذا نقول

أحبك جدًّا

أحبك جدًّا وأعرف أني أعيش بمنفى

وأنت بمنفى

وبيني وبينك

ريحٌ

وغيمٌ

وبرقٌ

ورعدٌ

وثلجٌ ونـار

وأعرف أن الوصول لعينيك وهمٌ

وأعرف أن الوصول إليك

انتحـار

ويسعدني

أن أمزق نفسي لأجلك أيتها الغالية

ولو خيروني

لكررت حبك للمرة الثانية

يا من غزلت قميصك من ورقات الشجر

أيا من حميتك بالصبر من قطرات المطر

أحبك جدًّا

وأعرف أني أسافر في بحر عينيك

دون يقين

وأترك عقلي ورائي وأركض

أركض

أركض خلف جنوني

أيا امرأة تمسك القلب بين يديها

سألتك بالله لا تتركيني

لا تتركيني

فماذا أكون أنا إذا لم تكوني

أحبك جدًّا

وجدًّا وجدًّا

وأرفض من نار حبك أن أستقيلا

...وهل يستطيع المتيم بالعشق أن يستقيلا

وما همني

إن خرجت من الحب حيًّا

وما همني

إن خرجت قتيلا»

قتلتني القصيدة ، وهمت بمرسلها ، أود أن أنساه ليتني أجد سبيلًا للنسيان لأفعله !

لابد أنه علم بأمر هاتفي لأنه لم يرسل أي رسالة بريدية إلا اليوم !

رسالة أخرى في رسائل هاتفي الواردة من خطيبي يقول فيها:

(مبروك لأجمل عروس) أخبرتني نجلاء كي أسعد ألا أقارن !

امتلأت القاعة بالأحباب لكن أحب و أقرب الناس لقلوبنا أبعدهم عنا في مثل هذه المناسبات.

نجلاء خائفة جعلت من سامي وأسامة حراسًا شخصيين لي

أخبرتها أن القدر لا يرده خوف وإن جاء سيأتي بلا إذن ..

تقول إنها تعمل بالأسباب وإني أهم لديها من نفسها ولم أشك لحظة بذلك ..

كادت تخبر الشرطة لكني منعتها، المسألة مسألة ردّ كرامة لدى خالد لا أكثر .

زفوني إليه كانت خطواتي إلى المنصة طريقها طويل، شوك وأمواج من رماد،

كل الحلي الذي تحيط عنقي ومعصمي وأناملي، فستاني وطرحتي باقة الورد التي أمسكها بقبضتي، ارتجافاتي كلها تناديه تناديه هو وحده !

حزينة أنها ستقاد لغيره أقنعها أم أقنعني أم أصرخ في كل الحضور وأقتل فرحة كل هؤلاء الذين يكادون يصلون عنان السماء فرحة لي !

خرجت من الباب الخلفي بعد الزفة سارت معي سيارات كثر حتى وصلت الفندق ولم يكتفوا بذلك، بل أوصلوني للغرفة حتى حين دخلت اطمأنت قلوبهم ..»

نجلاء تنتظرني بجانب السيارة وحين دخلت ذهبت للحفل مرة أخرى كنا قرابة الفجر..

حضنتها قبل أن ترحل وأنا أشعر بالغربة وبالألم من حياتي التي أسرفت في بعثرتها

ثم لملمتها بشكل روتيني فاشل!

آه يا نجلاء لو تعلمين أني بعثرت أشيائي العزيزة ، ولا أحد يشعر بما بي.

رجل لايعنيني يدخل حياتي لأني أخرجت من يعنيني تمامًا!

أريد أن أعود.

لا أريد أن أكون عروسًا لأحد ..

لا هذا ولا ذاك ..

أعيديني يا نجلاء إلى حيث كنت، إلى غرفتي وفراشي، إلى بيتنا الهادئ أكتفي بوحدتي وذكريات خالد التي لا أرتوي من تكرارها في رأسي ..

يانجلاء لا أقدر خوفك علي بثمن فأنت كنت أفضل من أخت ومن أم ومن كل القبيلة ..

نجلاء حين أجدك تسكنين في أضلعي أخشى عليك من قلبي المتقد أن يحرقك

وينالك شيء مما نالني ..

آآآه ياحياتي القادمة هل أنت أجمل ؟!

الفصل الأخير

كان الزواج راقيًا فخمًا رائعًا ..

نجلاء يظنها الأغراب أختًا لي ليتهم عرفوا أنها أكثر من ذلك !

ليلة ابتسم فيها أبي وسعد لأجلي سامي عرفت ذلك حين احتضنني وقبل رأسي ويدي..

ليلة كانت أمي تزهو أمام سيدات المجتمع بي ..

ليلة كانت سعاد وهناء أسعد امرأتين لأني أخيرًا قررت أن أفعل..

ليلة كانت أم حمد تقرأ المعوذات فوق رأسي وتسمي عليّ وتدعو لي ..

ليلة كانت نائلة تؤكد لي أن الثالثة ثابتة !

ليلة فاح عطري الذي لم يشمه خالد

لابد أن يقفز لخاطري دونما أحس ..

أحبه، أحبك يا خالد وأكذب إن قلت غير أني أحبك ..

وروحك تسكن روحي ..

خالد هناك يتلوى من الألم في غرفته العتيقة ..

لم تسعه فدار في الشوارع في الطرقات..

لم يتوقف بكاؤه للحظة بالقوة نفسها، بالرتم نفسه كان ينوح ..

يئن حين شق النور وقد توقفت سيارته على ناصية طريق لا يدري أين هو سقته العذابات ريما . . رغم أنه كان يسقيها عشقًا وحبًّا وأشواقًا وغزلًا..

لكنها اكتفت بالحرية التي تريد وإن ضحت بكل سعادتها من أجلها ..

يصيح بلا مجيب .. ريما!!!!!!

لعلها تسمعه فتعود أو تترك ذلك الرجل هاربة إليه لكن .. لا أحد !

غنى لها وهو يبكي ..

وألقى قصائدَ وهو يبكي..

كعادته يعرف كل معلوماتها كل تحركاتها ..

أدار المحرك ليذهب إلى فندقها ويخبرها أنه انتهى وهو حي ..

وقف ينظر إلى نوافذ الغرف من الخارج

هي هنا؟ أم هناك؟ معه؟

ثم تعاوده الحرقة من جديد ..

يقف بالقرب من مدخل الفندق يتمنى الدخول لكن قدماه لا تحملانه،

ينهار على المقود تكاد الجمادات تنطق لتهدئته، فلا حزن يضاهي حزن خالد في ليلتها الأولى !

نامت نجلاء هانئة، لم تنم أيامًا عديدة قلقًا على هذا الزواج الذي تخاف ألا يتم..

انتصرت .. نعم انتصرت فلا مخاوف بعد الآن لا خالد ولا سعود ولا أحد يستطيع جرحها أكثر ..

صحت لترى زوجها يقرأ الجريدة ويرتشف القهوة..

يخبرها أن نومتها كانت هنيئة لأنها كانت مرتاحة الملامح ولم يود أن يوقظها ..

وحين بدلت ملابسها وجلست لم تتوقع أبدًا أن الساعة الثالثة والنصف عصرًا ..

ربما لأن الجريدة التي يقرؤها أوحت أنها لازالت في الصباح الباكر!

رحلة ريما الخامسة الأكيد أنها تتجهز لصعود الطائرة ومن ثم الإقلاع..

سأفتقدك يا ريما ..

هكذا تمتمت وهي تشرب من قهوة زوجها وحبيبها ..

فتحت هاتف ريما فلم تجد من خالد إلا آخر رسالة كتب فيها :

(أيقنت الآن أن هاتفك ليس بحوزتك)

كانت منذ يومين ولا جديد بعدها ..

فتحت هاتفها هي وجدت رسائل من ريما تستعجلها بالمجيء لأنها ستتوجه إلى المطار وتخشى ألا تراها ..

همست في أذن حبيبها أنها ستسرع لتودعها ..

حملت حقيبتها بسرعة لتنطلق نحو طريق المطار ..

هناك حيث أوقفتها سيارات الإسعاف سيارات الإطفاء، وزحام سيارات، رجال كثيرون يتهافتون ويجتمعون من كل صوب.

حادث بشع كانت لوحات السيارات بالكاد تتضح لأنها كانت ركام حديد فحسب ..

وحين اقتربت أكثر كانت بي أم سوداء تشتعل بقرب سيارة تعرفها جيدًا رغم الدمار الذي لحق بها

سيارة ريما !

....

النهاية .

لطيفة عبدالعزيز الزهير

- روائية وقاصة سعودية.

- حاصلة على ماجستير علم نفس ودبلوم توجيه وإرشاد وبكالوريوس لغة عربية.

- صدر لها:

- رواية بكاء الرجال.



أمي لا تعترف بالحب وتظن أنه حديث يتشدق به الفارغون ليسلوا أمسياتهم الفارغة أيضًا ولا تعلم أنه أشبه بالمرض العضال الذي توغل في ابنها ولا يجد له حتى طبيبًا ليجتثه ويستأصل ألمه الذي يجعلني أشبه برداء بالٍ..

أشعر بشيء لا يعبر عنه بالكلام ولا بالكتابة شيء قد يراه أحدهم في مواطن روحي في داخل عيني وأوقن إيقانًا تامًّا، أنه لا يمكن أن يظهر لأحد إلا لأنثى تدعى ريما ، تلك التي سكنت روحي وحاولت جاهدًا أمنعها أن تفعل لكني كنت كالمكبل لا أملك لنفسي إلا أن أرثيها ..

الروح حين يسكنها أحد يتسارع إليها التلف ..وتكون هي الآخر !





